وزارة التعليم العالي والبحث العلميّ
جامعة ديالى / كُلّيّة التربيّة للعلوم الإنسانيّة
قسم اللّغة العربيّة

# الإستِلاب وَأنماطَهُ في قِصَصِ مُحيي الدِّين زَنكَنَة

رسالة قدّمتها الطالبة

نهى خليل إبراهيم رشيد

إلى مجلس كُلّيّة التربية للعلوم الإنسانية ــ جامعة ديالى ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف :

أ.م.د. سعيد عبد الرضا خميس التميميّ

1435هـ 2014م

ﭐ ﭒ ﭓ ﭔ

ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ

# الفصل الأول
# الاستلاب السياسي

يُعدّ مفهوم الاستلاب السياسي من المفاهيم الحديثة ، وهو ظاهرة بارزة في عصرنا الحالي ؛ بسبب الظروف السياسية والاجتماعية التي يعيشها العالم اليوم ، فهو لصيق الإنسان المعاصر ، يؤثر فيه ويستمدُ صيغهُ من مظاهر تسلّط الإنسان على أخيهِ الإنسان .

ويقصد بالاستلاب السياسي الذي هو مدار هذا الفصل شعور الفرد بالاضطهاد والظلم والاستبداد من السلطة السياسية ، وانقطاع التواصل بينه وبين المؤسسات السياسية[1] ، والميل نحو التفكير بأنّ السلطة تُدار من الآخرين ولمصلحتهم على وفق مجموعة من القواعد غير العادلة[2] ، وأنّ هذا الأمر يحيل على أن الفرد يحسُّ أنّ السلطة مستلبة لحقوقه ؛ وذلك يؤدي إلى شعورهِ بالإستلاب، وإستلاب السلطة لحقوق الأفراد على هذا النحو يؤدي إلى عزلته عنها وعن باقي أبناء مجتمعه ؛ إذ يشعر بعدمِ الانتماء إليهم لأسباب خارجة عن إرادته لا دخل له فيها ، وإنّما فرضتها عليه ظروف اجتماعية، واقتصادية ، ونفسية ، وسياسية ، أدت إلى عدم قدرته على المشاركة في الحياة العامة ؛ لأنّها تتجاوز قدراته الفردية في مجتمع تسيره قوى كبرى مسيطرة عليه[3] ، بمعنى أن الاستلاب السياسي يؤدي إلى استلاب اجتماعي وهذا أشدُّ قسوة من الأول، وهكذا تستمر سلسلة الاستلابات في الحياة .

---

(1) ينظر : معجم المصطلحات السياسية والدولية ، د. حسين ظاهر ، مجد المؤسسة للدراسات والنشر ، لبنان – بيروت ، ط1 ، 2011م : 26 .

(2) ينظر : موسوعة المصطلحات السياسية والدولية ، أ.د. ناظم عبد الواحد الجاسور ، دار النهضة ، لبنان – بيروت ، ط1 ، د.ت : 92 .

(3) ينظر : علم الاجتماع السياسي (أسسه وأبعاده) ، د. صادق الأسود ، د.ط ، 1990م: 595.

والاستلاب السياسي يتمثل في انقطاع الصلة بين القيم الاجتماعية والأهداف السياسية ، فهو على المستوى الجماعي يُحيل على إستلاب السلطة لحقوق الأفراد ، وفي الوقت نفسه يحاول الأفراد الانعزال والتقوقع وترك السياسة للسلطة الحاكمة لتفعل ما تشاء وما تريد في أُمور الرعية[1] ، والسلطة من إنتاج الإنسان ؛ لكنّها تبدو مستلبة ومعادية له وتقف في مواجهته في حالة الاستلاب ، فهو يولد نزعة عدائية لدى الأفراد والجماعات وقد يتحول عمل هذه الجماعات إلى نشاطات سياسية تصلُ في بعض الأحيان إلى استعمال وسائل العنف ، كما إنّ انتشار ظاهرة الاستلاب بشكل واسع في المجتمعات ، دليل على أنّ السلطة لا تتمتع بشرعية كاملة، إنّما شرعيتها محدودة ؛ ونتيجة لهذا فإنّ المجتمع قد يشهد أعمال معارضة للنظام[2] ، قد يكون من بينها العنف السياسي ، وغياب العدالة الاجتماعية ، وغياب التكامل الوطني داخل المجتمع فينقسم المجتمع إلى جماعات داخل البلاد فضلاً عن الحرمان من الحقوق السياسية[3] ، وكل هذه الأسباب تؤدي إلى الشعور بالاستلاب ، مما يدفعه إلى العنف من أجل استخلاص حقوقه ، وبهذا فإنّ الاستلاب يمثل إشكالية تؤدي بالمواطن إلى مقاومة الخضوع والاستبداد[4] .

هذا من جهة الأفراد ، أمّا من جهة السلطة فإنّها تسعى إلى اتخاذ العنف آلية حينما تفقد الضوابط المؤسساتية ؛ ولذلك تلجأ السلطة إلى حلِ المشاكل التي تواجهها

---

(1) ينظر : معجم المصطلحات السياسية والدولية : 26 .

(2) ينظر : علم الاجتماع السياسي : 595 .

(3) ينظر : الدولة والقوى الاجتماعية في الوطن العربي (علاقات التفاعل والصراع) ، د. ثناء فؤاد عبد الله ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان – بيروت ، ط2 ، 2008 : 33 .

(4) ينظر : قاموس علم السياسة والمؤسسات السياسية ، غي هرميه ، برتراندبادي ، بياربيرنبوم، فيليب برو ، ترجمة : هيثم اللمع ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان – بيروت ، ط1 ، 2005م : 53 .

بالعنف أو ما تيسر من وسائل التآمر ، الاغتيال ، الاعتقال ، الغزو[1] ، فالسلطة تلجأ إلى كلِّ الوسائل المشروعة وغير المشروعة من أجل البقاء في الحكم ، ويلحظ أنّ معظم الأنظمة السياسية عرفت العنف ، فالعنف لا يقبل انفصالاً عن أيِّ عمل سياسي ، وما دامَ هناك عنف هناك استلاب ؛ لأنّ المجتمع البشري في حالة تغالب وتنازع ، تغالب الإنسان مع أخيه الإنسان الذي يريد الاعتراف به قيمة مطلقة أو كلية[2] .

ويلحظ على بعض الأنظمة الهيمنة وعدم تداول السلطة بصورة سلمية ؛ لذلك فهي دائماً مستنفرة في مواجهة المواطنين وكلّما أصابتها مشكلة توجه أسبابها إلى مواطنيها فتنقل تبعات مسؤولياتها إليهم هرباً من فشلها ، وهذا الانقطاع مع الشعب قد يولد العنف فيدفع الشعب إلى التمرد كاسراً القيود المفروضة عليه[3] ، ولكن هذا الكلام لا ينطبق على الشعوب جميعها فهناك شعوب تستسلم لهيمنة السلطة أي للاستلاب ، وبهذا فإن الاستلاب يدفع كل من السلطة والأفراد أحياناً إلى استعمال العنفِ .

صحيح أنّ الاستلاب في بعض نتائجه يكون عنيفاً وعدائياً ، إلاّ أنّه في حالات أُخرى يُعطي طابعاً سلبياً مثل حركات بعض الشباب الرافضة للمجتمع ؛ فتلجأ هذه

---

(1) ينظر : الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر (دراسة بنائية مقاربة) ، د. خلدون النقيب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان – بيروت ، ط3 ، تشرين الأول ، 2004 : 118 .

(2) ينظر : الفساد والسلطة (أركيولوجيا المنشأة المزدوجة ، التمفصل الوقائعي للسلطة في العصر الوسطى) ، د. قصي الحسين ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان – بيروت ، ط1 ، 1997م : 10 .

(3) ينظر : القهر السياسي والوعي الديمقراطي في رواية (مجنون الحكم بأمر الله لينسالم حميش) ، عبد الوهاب بو شليحة ، مجلة الموقف الأدبي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع407 ، السنة الرابعة ، آذار : 65 .

الجماعات إلى الانخراط في تجمعات لتعاطي المخدرات وغيرها من السلوكيات المنحرفة[1] .

إنّ هذه الجماعات ليست عنيفة وعدائية ؛ ولكنها سلبيّة على المجتمع ، زيادة على وصفها ظاهرة مرضية وآفة من آفات المجتمع ، كما أنّ افتقاد القدرة على تغيير السلطة وتفاقم الوضع السياسي ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، أدى إلى أن تصبح السلطة غير قادرة على إحتواء الافراد ؛ لذلك أصبح المجتمع مهدداً بإنفجاراتٍ سياسيةٍ واجتماعيةٍ قد تحمل قدراً من الفوضى إلاّ أنّها بالتأكيد تؤدي إلى نتائج سلبية[2] .

ونخلص ممّا سبق أن الاستلابَ السياسي ظاهرةٌ مزمنةٌ وخطيرةٌ ، ولعلَّ أبرز ملامحها التأثير على مصالح الشعب ، وانتشار الفساد والاستبداد بشكل مريع ، والحرمان من الحقوق السياسية والمدنية ، وسيادة الظلم والاضطهاد والإحساس بأن السلطة تُدار من أُناسٍ ليسوا ندًا لها ، كل هذه الأسباب تدفع إلى الشعور بالإستلاب من السلطة فيلجأ الشعب مضطراً لا راغباً إلى إعادة حقوقه بكلِّ الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، ومن ضمنها الثورة والتمرد عليها تعبيراً عن رفضه لها ، إذ هي لا تمثله .

عرفَ الوطن العربي تدهوراً كبيراً على مرِّ العصور ، كما عرف العديد من الانكسارات وخيبات الأمل ، ممّا انعكس هذا الوضع على الفرد العربي ، وعلى السلطة في آن واحد ؛ ونتيجة لتدهور الأوضاع السياسية وسياسة السلطات الخاطئة تجاه شعوبها ، تبرز لدينا ظاهرة الاستلاب السياسي بصورة جلية ، وقصص محيي الدين زنكَنة تمثل الوضع العراقي وتصوره ؛ لهذا ليس غريباً أنّ الاستلاب السياسي ظاهرة بارزة في قصص محيي الدين زنكَنة ، فزنكَنة مبدع وأديب ، والأديب هو الأقدر على

---

(1) ينظر : علم الاجتماع السياسي : 596 .

(2) ينظر : الشباب ومشكلاته في المدن الحضرية ، د. علي بو عناقة ، مركز دراسات الوحدة، لبنان – بيروت ، ط1 ، 2007م : 129 .

التعبير عما يدور في نفوس أبناء مجتمعه وجهاً لوجه أمام السلطة ، لاسيّما حين تكون السلطة والشعب على طرفي نقيض ، والمبدع الحق هو من يمثل مجتمعه[1] ، وهذا هو حال زنكَنة فحينما عجز عن تغيير واقعه لجأ إلى الكتابة ، فنراه يُبدع في قصصه التي تبرّز فيها ظاهرة الاستلاب السياسي ، نتيجة لشعوره بمعاناة الشعوب من الظلم ، والاضطهاد ، والقهر السياسي ، وفضح ما يعانيه الإنسان المستلب من الأنظمة المتسلطة ، وتعرّية منطلقاتها السياسية وما نتج عن تسلطها من خراب اجتماعي وسياسي مسَّ مباشرة حياة قطّاعات عريضة من الشعب.

## المبحث الأول
## مظاهر الاستلاب السياسي

الإنسان كائن بشري يميّزه العقل عن باقي المخلوقات ، إلاّ أنّ خنقه يؤدي به إلى التيه القسري ، والذي تحكمه عوامل عدة تسيطر عليه ، ومن بينها السلطة التي

---

(1) ينظر : الرواية السياسية ، عبد الكريم ناصيف ، مجلة الموقف الأدبي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع416 ، كانون الأول ، 2005م : 16 .

تسنّ لنفسها قوانين تُحمل الفرد ما لا طاقة له فيشعر بالعداء لها ، والرغبة بالابتعاد عنها فضلاً عن الثورة عليها ؛ وذلك بسبب الأساليب التي تتبعها ، ولعلَّ أبرز المظاهر التي ينفتح عليها الاستلاب السياسي في قصص زنكَنة مرتبة بحسب الأسبقية هي :

أولاً : آليات الاستلاب السياسي .

ثانياً : سلبيات الاستلاب السياسي .

ثالثاً : نتائج الاستلاب السياسي .

## أولاً : آليات الاستلاب السياسي :

نتيجة لصراع السلطة مع الفرد أحياناً فإنّ السلطة قد تلجأ إلى العنف لتُخضع المواطن ، والعنف يأخذ أشكالاً مثل الاعتقال ، والنفي ، والتعذيب ، وغير ذلك وهذا حال أبطال زنكَنة ففي قصة ((سبب للموت .. سبب للحياة))[1] ، يُركّز القاص على أهمِّ اختبار تعرض له كاتب الجنس (الشخصية الرئيسة) وهو الاعتقال والتعذيب ، والحرمان من الحرية من دون ذنب ، ((في البداية نجحتُ في تجنب ضربة أو ضربتين، بأنّ أتكور على نفسي وأتراجع إلى الخلف ، ولكنّي في النهاية وجدتُ نفسي في زاوية الغرفة ذات الثلاثة جدران))[2] ، إنّ اعتقاله وتعذيبه يدلان على أنّ السلطة مستبدة وتُدار على وفقِ آليات غير عادلة ، فيُعتقل الإنسان ويُعذب لا لشيء سوى إنّ هذه سياسة السلطة ، فهو يتعرض لأشدِّ أنواع التعذيب مثل الضرب بالمطرقة ((وأنهال بالمطرقة على مؤخرة رأسي))[3] ، والأمر لا يقتصر على التعذيب الجسدي وإنّما يتعداه

---

(1) كتابات تطمح أن تكون قصصاً ، محيي الدين زنكَنة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، مطبعة أوفست عشتار ، بغداد ، د.ط ، 1984م : 25 .

(2) كتابات تطمح ... : 27 .

(3) نفسه : 28 .

إلى التعذيب النفسي ((الأفضل أن نذبحه))[1] ، فأسلوب السلطة في التعامل مع الأشخاص أسلوب همجي ووحشي ويُنذر بالموت لكلِّ مَنْ يتعرض للاعتقال .

إنّ السلطة اعتادت على اعتقال الناس من دون ذنب ، وهذا يدلّ على فقدانها معنى السلطة التي من واجبها حماية المواطنين ، فهي أقرب إلى العصابات لا السلطة ((أخرج من منتصفه مدية تقطر دمّاً ، كم من الناس ذبحتهم يا ممتهني القتل))[2] ، فهذا النصُّ يبيّن مدى وحشية السلطة وهمجيتها في التعامل مع مواطنيها مما دفع كاتب الجنس إلى الشعور بالاستلاب السياسي .

وفي قصة ((الرجل الذي أمتهن دراسة الكائنات البشرية))[3] ، نجد أنّ السلطة عمدت إلى ((تدمير الإنسان وتحطيم قيمه ، وتحويل الشعب إلى جماجم ، وهياكل عظميّة تسير في الشارع منزوعة النخاع ، شخصيات تافهة تطحنها الدونيّة، والعجز واللاجدوى))[4] ، إنّ سياسة السلطة أحالت الإنسان إلى لا شيء .

إنّ السلطة تهاجم مواطنيها وكأنهم حيوانات ميتة بلا حياة تقتات عليها حيوانات أخرى ، فرمزَ للسلطة بالغربان والغراب رمز للتشاؤم ، وكذلك السواد يحيل على التشاؤم عند العرب ، فشرّ هذه السلطة على مواطنيها أكثر من نفعها ((بدأت أسراب الغربان تنقض على الأجساد بشراهة))[5] ، إنّ المواطنين في هذه المدينة هم طعام السلطة وهدفها .

---

(1) نفسه : 27 .

(2) نفسه : 32 .

(3) نفسه : 36 .

(4) الطاغية (دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي)، أ.د. إمام عبد الفتاح ، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والآداب ، الكويت ، د.ط ، 1964م : 6.

(5) كتابات تطمح ... : 39 .

وفي قصة ((حيث الناس يعيشون كالهواء))[1] ، نتبيّن كيف أنّ السلطة تعتقل ذوي معارضيها وتعذبهم لتجبر المعارضين الذين هربوا على تسليم أنفسهم ، ولتمنع الافراد من أنّ يعارضونها ؛ لأنّ مصير ذويهم سيكون مجهولاً ، فالملك يعتقل والد الشخص الثاني (أحد شخصيات القصّة) ؛ لأنّه هرب إلى مدينة أخرى فدفع والده ثمن هروبه ((أن الملك قد هاج ... وأبتلع أبي بسبب تمتعي بالحياة كما ينبغي ، أبي، وحبسه في بطنه تسعة قرون كاملة))[2] ، كما أنّ هذه السلطة منعت أفرادها من أبسط حقوقهم مثل التفكير ، والحلم ، والحديث عن طموحاتهم ، فهذه أفعال تُعاقب السلطة عليها ((قال الثاني : لم نرتكب جرماً ، قال الأول : بل ارتكبنا .. لقد فكرنا، والملك منع التفكير ... وحلمنا ... والملك منع الحلم))[3] ، فهذه السلطة لا تكتفي بالاعتقال ، وإنّما تُحرم الحقوق التي منحها الله للبشر فتسلبهم إياها ، فيضطر الأفراد نتيجة لشعورهم بالاستلاب السياسي إلى الهرب من مدينتهم .

إنَّ قصة ((اللات والعزى))[4] ، قصة تندرج ضمن القصص الواقعية فهي تحكي واقع العراق في حقبة زمنية حاول الكاتب من خلالها ان يصور أدق التفاصيل وكيف تبدل الناس عما كانوا عليه ، فقد كانوا أكثر تداخلاً في بعضهم البعض وكانت علاقاتهم أكثر مودة وحميمة ، ووفاء لبعضهم قبل ان يتمكن الخوف منهم[5] ، فالقاصُ فالقاصُ في هذه القصة يركز على قضيةِ إعتقالِ وجهاء الناس والامتعاض الذي

---

(1) نفسه : 44 .

(2) نفسه : 46 .

(3) نفسه : 52 .

(4) الأعمال القصصية ، محيي الدين زنكَنة ، مطبعة الشهيد ازاد هورامي ، كركوك ، د.ط ، 2007م، مج1 : 147 .

(5) ينظر : نفسه .

أصاب أهل الجزيرة عند اعتقال الحرِّ بن شمس العلام (الشخصية الرئيسة) فهم اعتادوا اعتقال الناس من دون أي سبب ، ولكن الأمر مع الحرُّ يختلف ؛ لأنّه إنسان معروف بكرمه وأخلاقه ، فأثار اعتقاله امتعاضهم ((حين اقتادوا الحرُّ بن شمس العلام إلى الحبس ، على مرأى ومسمع من خلق كثير ، وقع الناس في دهشة مشوبة بالامتعاض والاستياء ، والاستنكار))[1] ، فهذه السلطة أعتادت اعتقال الناس، فهي تخشى من الحرِّ (بطل القصة) أن يحتل مكانها بعد أنّ لاحظت اتساع شعبيته فاعتقلته ترهيباً لكلِّ شخص يحاول أن ينَال شعبية بين الناس ، فأرادت أن تقطع أواصر التواصل الاجتماعي بين أبناء الجزيرة ((فالحرُّ رجل تشهدُ له الجزيرة كلّها بالاستقامة والرصانة ... وهي شهادة لم ينتزعها بأسنة الحراب ولا ببريق الذهب ولمعان الفضة ، وإنما منحه الناس إياها طواعية ، لفرط حبّه لهم وخدمتهم وتقديم العون لهم [...] وعبر تاريخ طويل حافل بالوقوف إلى جانب الفقراء والمساكين [...] والتضحية بكلِّ غالٍ ونفيس في سبيلهم والتفاني في خدمتهم من ظلم الظالمين وطغيان الطغاة))[2] ، إنَّ الاستلاب الذي واجه أهل الجزيرة هو نمطٌ من العقاب والظلم الذي أبتلع حقّ الحياة تماماً ليجعل الإنسان مجرد شيء ملقى على كثبان الحياة[3] ، وهذا هو حال أهل هذه الجزيرة .

وفي قصة ((فكاهة))[4] ، نجد أنّ الاستلاب السياسي واضحاً ؛ وذلك عندما حرم الوالي رعيته من أبسط حقوقهم الشخصية التي منحها الله لهم إلاّ وهو الشَعر ، والشَعر هنا رمز لكلِّ حقّ يُجبر الفرد بالتخلي عنه خوفاً من بطش السلطة ؛ فلأنّ

---

(1) نفسه .

(2) الأعمال القصصية : 149 .

(3) ينظر : سرديّات عراقية (إضاءات في القصة ، والرواية ، والنص) ، د. فاضل عبود التميمي ، من إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية ، ط1 ، 2013م : 117 .

(4) الأعمال القصصية : 253 .

الوالي أقرع أرادَ أنّ يحرم أهل الولاية من الشعرِ ، فهذه آلية غريبة وغير عادلة في الحكم ((أصدر الوالي أمراً ، تنفيذاً لفرمان أصدره السلطان ، بناءً على التماس لحوح تقدم به الوالي نفسه إلى مقام السلطان ، يُلزم سائر أبناء الولاية شباباً وشيوخاً صبياناً وكهولاً ، بوجوب قص شعورهم إن زاد طولها على مليمتر واحد ، وعدم الإغفال عنها وتركها تخترق هذا الحدّ مهما كانت الظروف والأسباب وإلاّ ... ف ... ف...))[1] ، فَمنْ يخالف الوالي ولا يقص شعره يكون مصيره الموت والتهديد ، فأُجبر كل أهل الولاية على قصِّ شعرهم إلاّ شخصاً واحداً وهو سعيد رفض الخضوع لإرادة الوالي ، ورفض أن يُسلب حقّ من حقوقه الشخصية ، وقاوم هذا الرفض فكان ثمن هذا الرفض أن يأمر الوالي بحرقه ((تقصّ شعرك الآن ، حالك حال الجميع ، أم نحرقه لك ونحرقك معه))[2] ، إنّ السلطة تستعمل أبشع الوسائل لإخضاع مواطنيها وفعلاً نجحت في ذلك ، فزنكَنة في هذه القصة يُشير إلى زمن معين كانت السلطة تعمد فيه إلى انتهاك الحقوق الشخصية للناس ؛ وذلك بقص الشعر الطويل ، فالشعر ما هو إلا رمزٌ للحرية .

وفي قصة ((الغولة خرابكو))[3] ، نلحظ التمايز الطبقي الذي تمارسه السلطة إزاء شعبها ، ففي هذه القصة يتمّ نقد السلطة والقانون غير العادلين ؛ فلأنّ الأول (الشخصية الرئيسة) ليس من المقربين منها تمَّ قطع يديه ؛ لأنه سرق ((أنت دفعت ذراعين، بكلِّ ما فيهما من أوردة ، وشرايين ، وعظام ، ولحم ، وجلد ، وشعر ، ودم

---

(1) نفسه .

(2) نفسه : 263 .

(3) الجبل والسهل (قصص قصيرة) ، محيي الدين زنكَنة ، دار ئاسوس ، أربيل ، ط1 ، 2004م : 244 .

ثمناً لسرقة واحدة لإسكات جوع آني مؤقت ربما في داخلك))[1] ، بينما الغولة خرابكو تسرق حتى غدت السرقة عملاً لها ولا تنال عقاباً واحداً ؛ لأنّها من المقربين للسلطة فهي تغضّ الطرف عن أعوانها ممن يسرقون ؛ لأنّها شريكة معهم ((إنهم لا يقطعون لها أصبعاً واحداً [...] اليد اليمنى لا تقطع اليد اليسرى [...] ؛ لأنهما خارجتان من جسد واحد))[2] ، فآلية الاستلاب كانت أشدّ مرارة من كلِّ القصص ؛ لأنها تميّز بين مواطنيها ، فهذه السلطة غابت عنها العدالة، والمساواة ، وحكمتها المحسوبية .

إنّ هذه القصة وصف لعالمنا اليوم فكل السلطات تحاسب الضعيف وتترك أصحابها وأعوانها ، كما تصور قساوة ما حدث للأول وفظاعته ؛ لأنّه خسر يديه لسرقة واحدة .

أمّا قصة ((الأمم المتحدة تكافح الجائعين))[3] ، فمحتواها مثل جبل الثلج لا يظهر منه إلاّ جزءٌ بسيطٌ ، أمّا الجزء الأعظم فيظل غير ظاهر ومغموراً في الماء[4]، فالجزء البارز من القصة هو سيطرة الدول الكبرى على الدول الصغرى وسلب مواردها ، أمّا الجزء المخفي فهو السماح لسلطات الدول الصغرى البقاء في الحكم فضلاً عن عدم السماح لشعوب هذه الدول بالثورة عليها ، ورمز للدول الكبرى بالأُمم المتحدة باعتبارها جهة عالمية وسلطة عليا ، بينما الدول الصغرى تقوم بتجويع شعوبها ووهب مواردها إلى الأمم المتحدة في سبيل أنّ ترضى عنها وتبقيها في الحكم ((لهذا السبب تخصص الدول الأموال الطائلة والمعدات الفتاكة واللوازم القانونية ، من قوت شعوبها

---

(1) نفسه : 246 .

(2) نفسه : 247 ، 248 .

(3) الجبل والسهل : 257 .

(4) ينظر : المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي ، فاضل ثامر ، دار المدى ، بغداد ، ط1، 2004م : 9 .

وحاجاتهم المادية والمعنوية [...] تعني إنّ الدول تجوع ناسها ... وتشبع هذه اللجنة))[1] ، والآلية التي تستعملها الدول الكبرى هي الابتزاز والترويعّ في حال لم تُسلّم أمورها لها .

وفي قصة ((محاولة اقتناص حلم))[2] ، تستعمل السلطة الترويع ، والإجبار ، والتهديد بالموت في حال رفضت الشخصية الرئيسة (مجهول الاسم والملامح) أنّ ترضخ للكاهن ليكون واحداً من الممسوخين من أهل المدينة الذين رضخوا للسلطة التي رُمز إليها بالكاهن ، ولكنه يُجبر على الرضوخ حينما يتحول إلى إنسان مطارد من السلطة ((أرقد .. أرقد ... وإلا مزقوك ارباً ... ارباً))[3] ، والسلطة لم تكتفِ بهذا وإنّما تجاوزت على حريته الشخصية وأجبرته على خلع ملابسه وارتداء العباءة السوداء كما يرتدي أهل المدينة ((وفي بحر ثواني أقلّ وجدت نفسي داخل عباءة سوداء))[4] ، فالخوف أضطره إلى ارتداء العباءة .

ومن سُبل الاستلاب الأخرى أنّ الكاهن منع إنجاب الأطفال مع أنّ الإنجاب حقّ شرعي منحه الله للبشر ، فبأيّ حقّ يمنعه الكاهن ؟ ((الكاهن نفسه منع الإنجاب منذ أكثر من ثلاثين عاماً))[5] ، كما نلحظ أنّه يُشرعُ قوانينًا تتطابق مع رغباته ، فيُحرم الحبَّ فمتى كان الحبُّ ممنوعاً ؟ وفي أي زمن ؟ ((الحبُّ نفسه محظور [...] لأنّه .. مخالف لتعاليم الرب))[6] ، مع أنّ كلا الشيئين (تحريم الحبُّ وإنجاب الأطفال)

---

(1) الجبل والسهل : 258 .
(2) نفسه : 39 .
(3) نفسه : 46 .
(4) الجبل والسهل : 55 .
(5) نفسه : 58 .
(6) نفسه : 59 .

مترابطان فالحبُّ يؤدي إلى الزواج ، والزواج يدفع إلى إنجاب الأطفال مما يؤدي إلى ولادة جيل جديد رافض للتسلطّ .

والقصّة بدورها تكشف عن الأساليب اللاانسانية التي تمارسها السلطات في قمع الحرية المرموز لها بالطفل الذي قُتل على يد أهل المدينة في أجواء أقرب إلى الوثنية[1] ، والطفل تمَّ تقديمه قرباناً لإعادة الأمير إلى الحياة .

وفي قصة ((الجراد))[2] ، يكون الموت عقاباً لكلِّ من لا يستسلم للسلطة ، حينما يقوم الجراد الذي رمز إليه بالسلطة في الهجوم على أبناء القرية بصورة شرسة حتى أحالت أهل القرية إلى مجموعة من الجثث الهامدة .

إنّ الآلية التي تستعملها السلطة بشعة ومقززة ، فهي تقتل بصورة وحشية كلّ من لا يرضخ لها ، فالناس عندها مثل مجموعة من الأشياء لا قيمة لها تقوم بإبادتهم بكلِّ وحشية ((وفي تراجعه يتعثر ببعض الجثث المبثوثة هنا وهناك))[3] فكان عقابهم الموت ؛ لأنّهم رفضوا التخلي عن مبادئهم والرضوخ للسلطة .

إنّ السلطة حينما تشعر أن خطراً ما يهددها فإنّها تلجأ إلى كلِّ الوسائل للقضاء على هذا الخطر ، فهي تسلب أهل القرية مقومات الثورة ووسائلها التي رُمز إليها بالمبيد ، حينما اختفى المبيد اختفت معه المقاومة والثورة الفعالة للإنسان على مواجهة أعدائه ، كما أنّ اختفاء المبيد يعني بدء حركة منظمة تستهدف الإنسان وحركته

---

(1) ينظر : نظرات نقدية (في عالم محيي الدين زنكَنة الإبداعي) ، مجموعة باحثين – بحث – المعقول واللامعقول في سرديات محيي الدين زنكَنة (محاولة اقتناص حلم) ، د. فيصل غازي النعيمي ، قدم له وحررهُ د. غنام محمد خضر ، سليمانية ، ط1 ، 2010م : 35 .

(2) الجبل والسهل : 150 .

(3) الجبل والسهل : 153 .

الثورية[1] ، ((لو لم ينهب ذلك الخنزير المبيد ... آه ... آه))[2] ، حينما أخذ المختار المبيد فقد الأمل بالانتصار على السلطة ، فالمبيد كان ((رمز الخلاص من هذا الشر المحدق بالبشرية جمعاء ، والذي يختفي من هذه المدينة ، وتشتدّ إليه الحاجة يوماً بعد يوم))[3] ، فبضياع المبيد ضاع أملهم في الانتصار .

وفي قصة ((الموت سداسياً))[4] ، يتمثل أعلى درجات الاستلاب السياسي ؛ لأنّ السلطة صادرت الحرية والأرض معاً ، فالقصة تتناول في الأساس مسألتين : الأُولى مصادرة حرية الشخصية الرئيسة (مجهول الاسم) ، والأخرى اغتصاب وطنه[5] ، فحريته أُعيدت له بعدما سُلبت منه ((ها أنا ذا أحمل حريتي على أكتافي ثانية .. وأعود بها وبنفسي المشتتة ... المتشظية ... إلى مدينتي ... التي سلخوني منها ... وسلخوها مني ، قبل زمن سرقت تفاصيله ... ودقائقه ... ولم أعد أدري ... أهو زمن طويل ... طويل طول عمر الاضطهاد والاغتراب ... أم هو قصير ... قصير ... قصير ... قصر ومضات الحرية في دروب الأوجاع))[6] ، إنّ السلطة تبرر استلابها

---

(1) ينظر : البناء الدرامي (في مسرح محيي الدين زنكَنة) ، صباح الانباري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 2002م : 45 .

(2) الجبل والسهل : 153 .

(3) الصراع في مسرحيات محيي الدين زنكَنة ، خولة إبراهيم أحمد الشمري ، رسالة ماجستير، إشراف : د. فاضل عبود التميمي ، كلية التربية – جامعة ديالى ، 1426هـ – 2005م : 100 .

(4) الجبل والسهل : 83 .

(5) ينظر : تجليات السرد وجمالياته (في قصص محيي الدين زنكَنة) ، صباح الانباري ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط1 ، 2010م : 75–76 .

(6) الجبل والسهل : 83 .

وسلوكها الوحشي على وفق القانون بدءًا من سلبها القسري للحقوق والحريات وانتهاء باستلاب الأرض والوطن[1] ، ((إنّه من حق السلطة السماوية والأرضية ، التي هي ظل للأولى ووجه من وجوهها المتعددة... أنّ تضع كلتا يديها على الأموال المنقولة وغير المنقولة التي يرثها الأفراد ... لا يؤهلهم القانون للتمتع بما يرثون))[2] ، إنّ الآلية التي استعملتها السلطة لسلب الحرية والأرض آلية قانونية ، بيد أنّه قانون المكر والاحتيال على الأفراد .

ثانياً : سلبيات الاستلاب السياسي :

عندما يتعرض بعض الناس لضغط السلطة فإنهم يلجأون إلى أساليب معينة للهروب من الواقع المرير الذي يعيشونه مثل الهروب خارج البلد ، أو تعاطي المخدرات ، أو الخمور ، وغيرها من الأُمور السلبية ، كما أنّه لا يختلف اثنان على أنّ الاستلاب حالة سلبية ، ولكنّنا سنركز على أبرز مظاهره في القصص .

ففي قصة ((سبب للموت .. سبب للحياة))[3] ، يلجأ كاتب الجنس (الشخصية الرئيسة) إلى الإنكفاء عن السلطة وترك الأُمور لها ، وينصرف إلى أمورٍ تافهةٍ لا قيمةَ لها مثل شرب الخمر ، والتبغ ، وكتابة قصص الجنس التافهة ، والانشغال بملذات الحياة، فالاستلاب السياسي دفعه إلى أمور سلبية عندما وجد نفسه عاجزاً أمام الواقع

---

(1) ينظر : تجليات السرد وجمالياته في قصص محيي الدين زنكَنة : 77 .

(2) الجبل والسهل : 83 ، 84 .

(3) كتابات تطمح .. : 25 .

ويعيش أزمةً سياسيةً واجتماعية مريّرة ((عشرون عاماً قضيتها أنا في قرض الكتب ، والتبغ ، وشرب الخمور وكتابة القصص عن الجنس والتفاهة والضجر والقرف))[1] ، وفي قصة ((اللات والعزى))[2] ، يلجأ الحرُّ بن شمس العلام كذلك إلى شرب الخمر هرباً من الواقع السياسي المرّ الذي يعيشه ، لعلَّ الخمرة تنسيه ما يتعرض له أهل جزيرته من ظلم ، واضطهاد ، فتنسيه اللات والعزى (رمزا السلطة) ((ليكن اليوم خمراً، ليكن يومي كله خمراً ، وليلي كذلك وغداي أيضاً ... بل لتكن أيامي وليالي المتبقية كلّها خمراً))[3] ، بعد أنّ ضاقت الجزيرة بالحرِّ وجد في الخمر ملاذاً له للخروج من حالته التي بات يرثى لها بعد أن سيطرا اللات والعزى على تفكيره وسلبا راحته ((ماذا سيفعل بي هذان الوحشان؟ إلى ما سيقودانني ... من خراب ودمار النفس والروح والكيان؟))[4] ، فالحرُّ أصبح عاجزاً عن السيطرة على تفكيره بعد أن سيطرا عليه كُليا .

وفي قصة ((حيث الناس يعيشون كالهواء))[5] ، يلجأ الأشخاص الثلاثة (شخصيات القصة) للهرب إلى مدينة أُخرى فيها الأمان والحرية بعد أنّ ضاقوا بمدينتهم التي يحكمها ملك طاغٍ ، فهروبهم يوضح لنا أمراً مهماً وهو أنّ هناك دافعاً ، أو حالة ، أو وضعاً خاطئاً ، أو غير صحيح ، ولا يتجاوب مع الظرف الذي تعيشه هذه الشخصيات ولا يُلبي حقوقها ، وعليه فهي ترفضهُ ، ولكنها غير قادرة على مواجهة هذا الواقع فتلجأ إلى الهرب[6] ، وفي هروبها عجزا عن مواجهة السلطة

---

(1) نفسه : 30 .

(2) الأعمال القصصية : 147 .

(3) نفسه : 159 .

(4) الأعمال القصصية : 159 .

(5) كتابات تطمح ... : 44 .

(6) ينظر : الرواية في العراق (1965–1980) وتأثير الرواية الأميركية فيها ، د. نجم عبد الله كاظم ، دار الشؤون الثقافية ، ط1 ، 1987 : 136 .

((ثلاثتهم يندفعون بسرعة مجنونة تحركهم رغبة واحدة ، تتجذر في أعماقهم، وهي الخلاص من هذه المدينة الملعونة))[1] ، إنّ من حقِّ الإنسان أن يبحث عن ((الطمأنينة ، والاستقرار ، والسعادة المفقودة والمنتظرة ، هي ما يشغل بال شخصيات القاص التي تحلم باستمرار في تحقيق ذلك وسط واقع يضغط عليهم بقسوة ووحشية))[2] ، وفي قصة ((اللات والعزى))[3] ، يلجأ السلمان أبو يوسف الفهدي للهرب خارج أو الجزيرة ، هرباً من الظلم ، والتعسف ومصادرة الحقوق فوجد في الهرب حلاً وأنّ كان حلاً سلبياً ، فكان الأحرى به أن يحاول تغيير حال الجزيرة بالثورة على السلطة التي لا تعرف الحقّ من الباطل ((إذ وصل بعد أيام قلائل صديق الحرُّ بن شمس العلام الوفي ... السلمان أبو يوسف الفهدي [...] الذي كان قد ضاق بالحياة في مكة ضيقاً شديداً ... لما رأى من الظلم وعسف وتخلف و... فهجرها إلى البحر))[4] ، وبعد رحيل السلمان أخذ الحرُّ يفكر هو الآخر في الهرب من الجزيرة ؛ لشعوره بمرارة الواقع المعيش ، ولكن جبروت السلطة وقف عائقاً بينه وبين الهرب ، ففكر في زوجته وما ستوجه السلطة لها من عقاب في حال تركها ؛ لذلك عمد إلى وأد الفكرة وأستسلم للأمر الواقع ((لا ... لن أترك زوجتي تتحمل أو هي لا تتحمل ، ولا تقوى أن تتحمل أعباء قراري ... وتواجه المحنة وحدها))[5] ، فاختار أن يعيش في ذلة ذلة ، ومهانة ، واضطهاد على الهرب ، مع أنّ كلا القرارين سلبيين ، فالهرب ليس حلاً ، والعيش في ذلة ليس حلاً هو الآخر ، فالحرُّ خضع لضغوط السلطة فمرة

---

(1) كتابات تطمح ... : 45 .

(2) قراءات في الأدب والنقد ، د. شجاع مسلم العاني ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، د.ط ، 1999م : 155 .

(3) الأعمال القصصية : 147 .

(4) الأعمال القصصية : 152 .

(5) نفسه : 156 .

يحاول البقاء وأخرى الهرب ، وقد سقط في حالة انكسار داخلي ، ولكنه من جهة أُخرى يمارس أفعاله اليومية متآلفاً إلى حدٍ كبيرٍ مع حركة الواقع الخارجي[1] ، وفي قصة ((فكاهة))[2] ، يلجأ بعض أهل الولاية للهرب خوفاً من سلبهم أبسط حقوقهم الشخصية ، حينما يأمر الوالي بحلق شعر أهل الولاية، فلا يجدون سوى الهرب ملاذاً من بطش السلطة وظلمها وقسوة أوامرها ((وقع الناس إزاء هذه الهجمة السريعة والشرسة والشاملة في (حيص وبيص)[*] من أمرهم ، بعضهم فرّ خارج الولاية ، مُسمياً فراره ، بتفلسف انسحاباً مؤقتاً))[3] ، فالسلطة لم تترك لهم خياراً سوى الهرب من الولاية .

وفي قصة ((فكاهة))[4] ، أختار سعيد (الشخصية الرئيسة) منذ البدء الانعزال عن السلطة وعن أهل ولايته بسبب الظلم ، والاضطهاد ، وعدم المساواة الذي يمارسه الوالي بحقِّ أهل ولايته ممّا اضطر سعيد إلى ترك الولاية والانكفاء في الكهف تعبيراً عن رفضه للواقع ، كما أنّ انعزاله في الكهف ، وانشغاله بكتابة الشعر هروب من عالم الواقع إلى عالم الوهم ، عالم يحلم به بالعدالةِ والأمانِ وهذا لا يمكن أن يتحقق إلاّ بانعزاله عن مجتمعه المستلب ((أنزوى منذ أعوام في كهف بعيد ، يفكر ويتأمل ويرسم بالكلمة تارة وبالخط تارة أُخرى عوالم ودنى تجري فيها الحياة بصورة أكثر جمالاً وعدالة))[5] ، فسعيد فضل ترك الولاية على خسارة حقٍّ من حقوقه الشخصية .

---

(1) ينظر : المقموع والمسكوت عنه في السرد العربي : 24 .

(2) الأعمال القصصية : 253 .

(*) اختلاط في أمر لا مخرج منه ، لسان العرب ، مادة (حيص) .

(3) نفسه : 262 .

(4) الأعمال القصصية : 253 .

(5) نفسه : 255 .

أمّا قصة ((اللات والعزى))[1] ، فنجد أنّ كلَّ من في الجزيرة صمتوا على اعتقال الحرِّ بن شمس العلام وانصرفوا إلى أحاديث تافهة لا فائدة ترجى منها، قضاءً على الإحساس الداخلي بالذنب الذي كاد يقتلهم ، فضلاً عن إحساسهم بالعجز عن القيام بأيِّ عمل فلاذوا بالصمت عن الحديث في أمر اعتقاله وانصرفوا إلى غيره ((لم يكن الرجال القاعدون في ظلِّ جدران الكعبة ، يقتلون الوقت، أو يقتلهم الوقت دون أن يشعروا ، وهم يعلكون شتى أنواع الأحاديث ليتجنبوا حديثاً واحداً بعينه يخافه كلّهم))[2] ، فما حصل للحرِّ جعلهم يخافون الحديث عن اعتقاله كي لا يصيبهم ما أصابه .

ثالثاً : مقاومة الاستلاب السياسي :

من الطبيعي أنّ السلطة حين تقف في مواجهة الفرد فإنّه يلجأ إلى مقاومتها ، أو الرضوخ إليها ، أو الانعزال عنها ، وهذا شيء طبيعي يفسره حرص الإنسان في المحافظة على إنسانيته بأي وسيلة كانت .

ففي قصة ((سبب للموت ... سبب للحياة))[3] ، نرى كاتب الجنس (الشخصية الرئيسة) يشعر بأن السلطة مُعادية له وغريبة عنه ((هذه المخلوقات الغريبة عن دنيا البشر))[4]، وهذا الشعور لم يأتِ من فراغ ؛ وذلك لإعتقاله في المرة الأولى من دون ذنب ((في المرة الأولى قبل خمسة أشهر ، لم يكن عنده شيء))[5] ؛ نتيجة لهذا الإحساس بأن السلطة مستلبة لحريته ، ومعادية له ، ولا تمثله ، وتُدار على وفق آليات

---

(1) نفسه : 147 .

(2) نفسه : 151 .

(3) كتابات تطمح ... : 25 .

(4) نفسه : 28 .

(5) نفسه : 29 .

غير عادلة، فأنّه يلجأ إلى التنظيم السياسي الذي ينتمي إليه زميله ((من كان يدور بخلده يوماً أن يستحيل كاتب الجنس خصماً سياسياً لنا))[1] ، فكاتب الجنس ((يُساق إلى السجن وهو غير منتمٍ))[2] ، فيعذب في السجن وعلى أثر التعذيب يقرر الإنتماء إلى جهة سياسية .

إنّ الاستلاب دفع كاتب الجنس هذا الإنسان السلبي التافه الذي شغلته ملذات الحياة إلى شخص ثوري ، مؤمن بضرورة تجاوز الحال الحاضرة ، وبضرورة الكفاح ضد السلطة التي لا تمثله وذلك بقوله ((لن يظل الإنسان رخيصاً ولا تافهاً طول عمره))[3] ، على الرغم من أساليب التعذيب البشعة ، والخوف ، والرعب الذي يملأ قلبه إلاّ أنه قرر عدم الاستسلام لجلاديه ، ورفض خيانة زميله والوشاية به ، أمّا سلاح المقاومة فقد كان بداخله ، إذ إنّ الفئات الحاكمة مستعدة لمقاومة أيّ نقض سياسي ؛ لذلك لا يبقى للفئات المحكومة سوى التمرد في حالة حرمانها من حقوقها[4]، والتمرد في السرد يأخذ أشكالاً مثل الإنتماء السياسي ، أو الثورة ، أو التضحية بالذات .

من نتائج الاستلاب انقطاع التواصل بين الفرد والسلطة ، ونلحظ هذا الأمر من خلال الحوار الداخلي الذي يغلب على الشخصية ممّا يشير إلى أنّه يُعاني استلاباً ((لولا أن شعوراً بتفاهة التحدث إليهما ، إلى أيّ منهما ، تولد عندي ، فلجأتُ إلى الصمت ثانية أُحقق خلاله وجوديّ))[5] ، كما نلحظ أن الحوار الخارجي بين كاتب الجنس وجلاديه قصير ومقطوع مما يدلّ على أنّ كاتب الجنس يشعر بالإستلاب

---

(1) نفسه : 31 .

(2) القاص والواقع ، ياسين النصير ، مطبعة دار الساعة ، بغداد ، د. ط ، 1975م : 151 .

(3) كتابات تطمح ... : 31 .

(4) ينظر : علم الاجتماع السياسي ، توم بوتومور ، ترجمة : د. وميض نظمي ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 1986 : 124 .

(5) كتابات تطمح ... : 29 .

والعداء للسلطة ((سأقتلك ، أدري ، وكيف تدري ؟ من عينيّك ، ماذا في عينيّ ؟ بحيرتا دم ... وجثث))[1] ، فالأشخاص المختلفون في الرأي يكون الحوار بينهم قصيراً ومجهضاً وينتقل بسرعة من شخصية إلى أُخرى ، مما يدلّ على انقطاع التواصل بينهم[2].

أمّا قصة ((الرجل الذي أمتهن دراسة الكائنات البشرية))[3] ، فنجد أنّ السلطة أفقدت المواطن وعيه الذاتي وأصبح مدمجاً في كتلة واحدة مع الآخرين الذين فقدوا هويتهم ، فقتل فيهم الإبداع وأنعدم الابتكار بل أصبح المبدع أو الثائر (الرجل) شاذاً وخارجاً عن الجماعة[4] .

والكائنات البشرية وصلت درجة عالية من الخضوع والاستلاب ، إذ لا تحتج ضدّ اي تصرف يسيء إليها ((صاحت به امرأة كانت واقفة على شرفة منزلها تكرز الحب ، وتلقي قشورها فوق رؤوس الأجساد المصطفة التي تتقبل الأمر دون احتجاج))[5] ، فالكائنات بعيدة عن كلِّ هدف وأمل في الحياة ، بفضل السلطة ، حتى أصبحت كلّها نسخة واحدة للإنسان المستلب الإرادة ((الصف البشري يزداد طولاً ، غاصت عيناه في أجساد عارية رجالية ونسائية ، ذات ألوان مختلفة وأحجام متباينة... ونظرات متشابهة))[6] ، السلطة سلخت منهم آدميتهم وحولتهم إلى كائنات لا فائدة

---

(1) نفسه : 32 .

(2) ينظر : شخصية المثقف في الرواية العربي السورية (دراسة) ، محمد رياض الوتار ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، د.ط ، 2000 : 181 .

(3) كتابات تطمح ... : 36 .

(4) ينظر : الطاغية : 6 .

(5) كتابات تطمح ... : 37 .

(6) نفسه : 38 .

ترجى منها ، وهذا كان نتيجته أنّ هذه الكائنات شعرت بالاستلاب فانعزلت، وانكفأت ، وتقوقعت على نفسها .

ومن النتائج الأخرى في هذه القصة أنّ الرجل يحاول الثورة على السلطة ، حينما يرى الظلم والاضطهاد الذي يلحق بأهل هذه المدينة ، بيد أنّه يتخلى عن الفكرة حينما تتخلى يده اليمنى عنه والتي هي رمز لأعوانه في الثورة ((ولكن يده اليمنى ظلت في مكانها قال لها بلهجة آمرة : تعالي ، لكنّها أبت ، وقف على مبعدة منها أخذ يناجيها))[1] ، إنّ الرجل يضطر لترك المدينة لفشله في الثورة على السلطة ولإحساسه بالإستلاب عن المدينة .

إنّ الرجل يقرر العودة حينما تكتمل عنده أدوات الثورة ، فهو مُصر على مقاومة الظلم ، والاضطهاد ، والثورة ((بيد أني سأعود ... حين يحيّن الوقت لأدرس كلّ الكائنات البشرية))[2] ، إن الإصرار والعزيمة تدفعان الرجل إلى ترك المدينة والعودة لاحقاً لمساعدة أهلها في التخلص من الظلم ، فمن نتائج الاستلاب محاولة الرجل الثورة على السلطة الظالمة ، المستبدة .

وفي قصة ((حيث الناس يعيشون كالهواء))[3] ، نلحظ أنّ الشخص الثالث (أحد شخصيات القصة) نجح في الوصول إلى المدينة التي يعيش أهلها كالهواء ثم العودة إلى مدينته ليبنيّها على غرار هذه المدينة ، التي تمكن أهلها من التخلص من ملكها الطاغي وبناء مدينة جديدة ((آه ... لقد عاش فعلاً حياة هانئة طيبة ذات رائحة عطرة خالية من الملوك وأنفاسهم القذرة ؛ لأنّهم هناك قد لفظوهم لفظ النواة ، وداسوا عليهم بالأقدام ... منذ أكثر من نصف قرن))[4] ، إنّ نجاح الشخص الثالث في الوصول إلى

---

(1) نفسه .

(2) كتابات تطمح ... : 41 .

(3) نفسه : 44 .

(4) نفسه : 46 .

إلى المدينة التي يعيش أهلها كالهواء ((يمكن إرجاعه إلى وجود دافع ، إلى جانب وجود القدرات الفطرية التي تلعب دوراً في ذلك))[1] ، فضلاً عن رغبته في التخلص من الملك الطاغي ، والإيمان بضرورة تجاوز الحال التي يعيش فيها ، فضلاً عن القدرات التي يتمتع بها من تخطيط وتفكير من أجل الوصول إلى هدف بعيد المنال ، فبوجود الإرادة والوعي تُصنع المعجزات[2] ، فعاد إلى مدينته مُحملاً بالأمل فضلاً عن الوعي والإرادة ليبني مدينته ويُخلصها من مَلِكها الطاغي ((ولكي نعمل معاً ، على تأسيس مدينتنا على غرارها ... فقد عرفنا أصولها ... وطريقة خلقها))[3] ، فما دام هناك قوّة وإرادة يُحقق الإنسان ما يرغب به .

ومن نتائج الاستلاب أنّه عملَ عملاً إيجابياً فكان دافعاً للأفراد في التفكير بحريتهم المستلبة ، والحصول على ما يرغبون به ، وزرع الأمل في نفوسهم ((وخلق فينا هذه القوة الفولاذية التي صهرتنا في وحدة عملاقة ، جعلتنا أنفسنا في القول والتفكير والفعل))[4] ، إنّ الإنسان لا يدرك شخصيته ، وأصالته ، وقيمته ، وتميّزه عن الآخرين إلاّ عندما يكون وحيداً ، وعندما يتمكن منه ذلك الشعور الحزين، والكئيب بانعزاله عن باقي أبناء مجتمعه[5] .

---

(1) الذكاء العاطفي ، دانييل ، تر : ليلى الحيالي ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د.ط ، 1990م : 120 .

(2) ينظر : الوعي والإرادة ، د. حسين الصدّيق ، مجلة التراث العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع96 ، كانون الأول ، 2004 : 236 .

(3) كتابات تطمح .. : 54 .

(4) نفسه : 45 .

(5) ينظر : العزلة والمجتمع ، نيقولاي برديائف ، ترجمة : فؤاد كامل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط2 ، 1986م : 93 .

وفي قصة ((اللات والعزى))[1] نجد الحرَّ بن شمس العلام وصل مرحلة من الكبت لمشاعر الكره للسلطة لم يعدّ قادراً على أثرها تحمل السلطة وبطشها فيثور عليها ، ويرفض استمرار الخضوع إليها بيد أنّ ثورته هذه دفع حريته ثمناً لها ، والثورة تمثلت عندما فعلها على الصنمين (اللات والعزى) ، اللذين هما رمزا السلطة ((أ .. أفعلتها في ردائي .. ؟ في .. في ردائي ؟ .. فقط [..] ؟ لابدَّ .. أن أعود .. وأتمم ما عجزت عنه))[2] ، وفي فعله هذا رفض ومقاومة للاستبداد ، والقهر السياسي ، والظلم ، الذي توجهه السلطة لأبناء الجزيرة ، ومن النتائج الأخرى في هذه القصة حالة البطالة التي يعاني منها أهل الجزيرة ((ويتشرد أصحابها والعاملون فيها .. منضوين إلى جيوش العاطلين الجائعين والمتشردين في كلِّ مكان))[3] ، فالسلطة انشغلت بأمورها الخاصّة وتركت أُمور الرعية ، فهي تُدار من أُناس ليسوا أهلاً لقيادة السلطة ، فلا عجب أنّ تكون النتيجة جيوشاً من العاطلين عن العمل في الجزيرة .

وفي قصة ((فكاهة))[4] ، نلحظ أنّ الوالي أخضع حاشيته حينما أمرَ بحلق شعرهم ورضوخ الحاشية لأمره ليس إيماناً منهم بهذا القرار ، وإنّما تملقاً للوالي وهذا التملق أوصل الوالي إلى أن يستبد بالولاية ، ولم يكتفوا بحلق رؤوسهم وإنّما أخذوا يُزايدون في تملقهم حتى حلق بعضهم حاجبيه والآخر أهدابه ((لم تبقَ في الوجه ولا الجسوم شعرة واحدة))[5] ، الحاشية أخضعت جنودها والجنود أخضعوا أهل الولاية فالكلّ خضع لرغبة الوالي الغريبة ، والكلُّ استسلم لعمليات الترويض السلطوي البشعة

---

(1) الأعمال القصصية : 147 .
(2) نفسه : 163 .
(3) الأعمال القصصية : 160 .
(4) نفسه : 253 .
(5) نفسه : 257 .

ليتحولوا إلى كيان مستلب لا خيار له إزاء سلطة مستبدة سوى التسليم للأمر الواقع[1] ، إلاّ سعيد فإنّه رفض أن يخضع للقرار وأنّ يحلق شعره، ورفضه ليس لحلق الشعر بذاته ، وإنّما هو رفض لكلِّ أنواع الاستبداد، والظلم ، والطغيان فضلاً عن أنواع السيطرة ، فحسُّ المقاومة لا يبرز عنده إلاّ من خلال إطاره التمردي على الواقع الذي يعيشه[2] ، نتيجة لهذا الرفض والمقاومة نراه يدفع حياته ثمناً ، فيأمر الوالي بحرقه مع حبيبته جميلة ((في النار ... كلاهما في النار))[3] ، بيد أنّ الظلم والطغيان لا يمكن أن يستمرا والحقّ لا يموت ما دامَ هناك وراءه مُطالب ، ولا يمكن أن يخضع الكلّ ، وأن أُحرق سعيد فلابدَّ أن يأتي سعيد آخر ، وسعيد هنا ما هو إلاّ رمز للثورة على الطغاة ((وإذ أخذت نورهان تشم رائحة اللحم المحروق ، أطلقت صرخة هائلة ، التفت إليها الكلّ مبهوتين ... فصعقهم منظر رأس صغيرة ، تدلت من بين ساقيها ، تغطيها غلالة رقيقة من شعر ناعم ... أحمر ... بلون الفجر الوليد))[4] ، بولادة هذا الطفل تولد حياةٌ جديدةٌ مباركةٌ وفجر مشرق يزحف نحو الطغاة[5] .

في قصة ((الغولة خرابكو))[6] نلحظ نتائج الاستلاب السياسي في سوء وضع البلد الاقتصادي ، والسياسي ، والاجتماعي ، فالأول غادر بلدَهُ لضيق العيش فيها .

أمّا الثاني (رفيق الأول) فقد قرر البقاء وتحمل سوء المعيشة وظلم السلطة ((احتفى به الثاني ، الذي لم يغادر الوطن بالرغم من كل شيء))[1] ، وهذا يدل على

---

(1) ينظر : الخوف من الحرية ، اريك فروم ، ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان – بيروت ، ط1 ، 1972 : 149 .

(2) ينظر : البنى السردية (دراسة تطبيقية في القصة القصيرة) ، عبد الله رضوان ، دروب النشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، ط1 ، 2009م : 654 .

(3) الأعمال القصصية : 263 .

(4) الأعمال لقصصية : 263 .

(5) ينظر : البناء الدرامي : 47 .

(6) الجبل والسهل : 244 .

على أنّ هذه السلطة منشغلة عن أمور بلدها ، وغير قادرة على توفير مستلزمات العيش لأفرادها ؛ لذا فهي ليست سلطة كفوءة لتحكم هذه البلاد ، ومن النتائج الأخرى في هذه القصة أنّ الأولَ غدا خائفاً من أيّ سلطة ؛ لأنّ السلطة في الغربة قطعت له يديه ((همس الأول : اقترب مني ... اقترب أكثر ، أكثر أكثر ، وإذ تلاشى الهواء بينهما ، أدخل الأول فاه في أُذن الثاني وعيناه نقطتا زئبق اليد اليمنى، لا تقطع اليد اليسرى ... لا يمكن ... مستحيل ، زعق الثاني مرة أخرى : لماذا ؟ لماذا ؟ حار الأول في أمر صديقه ، الذي لا يفهم ، ولا يريد ، أو يحاول ان يفهم ؛ لأنهما خارجتان من جسد واحد ... خارجتان من جسم آخر غريب عن الغولة ، لا يمتُ إليها بصلة ولا إلى أقربائها ، ولا حتى إلى عبيدها وخدمها))[2] ، فالخوف منعه من التكلم عن السلطة بصوت عالٍ مخافة أن يسمعه أحدهم ويشي به إلى السلطة فهو ليس مستعداً لخسارة شيء آخر من جسمه .

إنّ هذه القصة ((تُوحي بأن ثمةَّ عالماً كبيراً يرزخُ تحت عجلة آلته السياسية والاقتصادية المُدمّرة ملايين البشر المنذلين ، والمقهورين ، الحالمين بحياة نظيفة تنفتح فيها أرواحهم إلى أقصى حدودها البشرية))[3] ، والقصة بمضمونها تصوّر وضعاً اقتصادياً سياسياً سيئاً .

وفي قصة ((الأمم المتحدة تكافح الجائعين))[4] نلحظ أن (الأول) أصبح كارهاً ناقماً على السلطة التي لم ترحمه ، إذ خسر بسببها يديه ؛ فلو كانت سياستها عادلة لما اضطر إلى الهجرة خارج بلده ، وهناك سرق فقطعوا له يديه ، فهي مسؤولة ضمناً

---

(1) نفسه .

(2) نفسه : 247 ، 248 .

(3) استذكار مشهد ، عواد علي ، الزمان ، العدد 1583 ، 2003 .

(4) الجبل والسهل : 257 .

عما حصل له ((أليست هي التي دفعتك إلى السرقة حين كنت هناك في الغربة))[1] ، والنتيجة الأخرى للاستلاب أنّ الأول غدا يائساً ، بائساً ، خائفاً ، مُستسلماً لأمر الخضوع للسلطة إيماناً منه بأن كلّ من يستلم الحكم يطغي فلا فائدة من تغيير السلطة والثورة عليها ((وما الجدوى يا حمار ... ما الجدوى يا بغل.. إنّ كلَّ من يجلس في مكان المعدة ، يصبح معدة))[2] ، والمعدة هنا رمز للسلطة .

الاستلاب دفعه إلى الإيمان بأنّه لا يمكن أن يخلق دافعاً ولا يُحقق تقدماً ، بل يرتدُ إلى الوراء ، فالمستلب بذلك لا يصنع حقيقة ، بل يعتقد أنّ الحقيقة موجودة في ماضٍ لن يعود أو مستقبل بعيدُ المنالِ[3] .

وفي قصة ((محاولة اقتناص حلم))[4] الكلُّ خضع للكاهن (ممثل السلطة) ، ((ثمَّ مضغ بضع كلمات أُخرى وتفلها عليهم ، فخرَّ الجميع ... خاشعين .... دفنوا وجوههم في التراب))[5] ، أمّا بطل القصة فيرفض الخضوع للسلطة ويرفض أنّ يتحول إلى شيء ينتمي إلى هذا الجمع الغفير من الساجدين ، ويرفض الذلة والمهانة ((رفضت بإصرار أنّ أتحول إلى واحد منهم))[6] ، ولكن عندما تصبح حياته على المحك فإنّه يضطر للسجود ويصبح واحداً منهم ((إذ أسرعت بدفن وجهي في التراب))[7] ، ثم يقرر ترك هذا المكان عندما يعجز عن التواصل مع أهله ، فيبحث

---

(1) نفسه : 259 .

(2) نفسه : 260 .

(3) ينظر : الاستلاب والارتداد ، علي حرب ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1997م : 23 .

(4) الجبل والسهل : 39 .

(5) نفسه : 44 .

(6) نفسه .

(7) نفسه : 55 .

عن ملابسه ليخلع العباءة علامة الرضوخ ((فرحت أبحث عن ملابسي))[1] ، إنّ الاستلاب في بادئ الأمر دفعه إلى الرفض ، بيد أنّ خوفه من دفع حياته ثمناً أجبره على السجود ، فالبطل يتعرض لسلسلة من الاضطهادات والضغوط السياسية فلا يجد خلاصاً منها إلا بالسجود[2] ؛ ونتيجة لهذا فإنّه يترك هذا المكان ، ويبدأ في مكان آخر أكثر واقعية ، وأكثر إيجابية ، وأكثر فهماً ، واستيعاباً ، وإدراكاً[3] ، أنَّ إحساس هذه الشخصية بالاستلاب عن السلطة وأهلها دفعه إلى تركها ، فالاستلاب السياسي يحيل إلى استلاب اجتماعي ، والعزلة الاجتماعية نوع من أنواع الرفض للظلم والقهر .

وفي قصة ((الموت سداسياً))[4] يحيل الاستلاب السياسي أيضاً إلى استلاب اجتماعي؛ وذلك من خلال رفض الشخصية الرئيسة (مجهول الاسم والهوية) الاستسلام للسلطة كما أستسلم أهل مدينته ، فرفضهِ دفعه إلى الشعور بالإستلاب عن باقي الأفراد لاسيّما بعد أن أستسلم الكلّ ولم يبقَ إلا هو ((لا ... لا تجرفوني ... أنا لست منكم ... آه لا تنتزعوني من جلدي ... أنا لن أترك مدينتي))[5] ، وفي قصة ((فكاهة))[6] نجد أنَّ الاستلاب السياسي دفع سعيد إلى الاستلاب الاجتماعي ، فترك ولايته وأعتزل في الكهف ؛ لأنّه أحسَّ بالاستلاب عن أهل ولايته بعد أنّ رأى الجميع قد خضعوا للوالي ((انزوى منذ أعوام في كهف بعيد))[7] ، وحينما أُلقي القبض عليه بتهمة امتلاكه شَعراً لقبوه بالمجنون ؛ لأنّه أعتزلهم أولاً ؛ ولأنّه رفض أن يخضع لأمر الوالي

---

(1) نفسه : 81 .

(2) ينظر : المقموع والمسكوت عنه ... : 25 .

(3) ينظر : رحلة في القصة العراقية ، باسم عبد الحميد ، دار الرشيد للنشر ، العراق – بغداد ، د.ط ، 1980 : 46 .

(4) الجبل والسهل : 83 .

(5) نفسه : 99 .

(6) الأعمال القصصية : 253 .

(7) نفسه : 255 .

ثانياً ؛ ولأنّه أصبح شاذاً بينهم ثالثاً فالكلُّ سُلبوا نعمة جمال الشعر إلاّ هو ((ثم ظهر جنكيز وتابِعوه وهم يدفعون أمامهم شاباً طويل القامة نحيفاً تهدل شعر رأسه على كتفيه ، مكبلاً بالأغلال ، تهامس بعضهم لقد قبضوا على المجنون))[1] ، إنّ إلقاء القبض عليه كان نتيجة لرفضه الرضوخ للوالي والشَعر لم يكن سوى عذراً كي يعاقب به ؛ لأنّه رفض الرضوخ .

وفي قصة ((الجراد))[2] ، ينقسم أهل القرية على قسمين : الأول رفض الرضوخ للسلطة وآثر الموت على أن يتحول جراداً ((عار علينا ... أنّ يهزمنا الجراد ... قاوموا ... قاوموا ... ))[3] ، والقسم الآخر أستسلم للسلطة وتنازل عن آدميته وتحول إلى جراد ((قولي ... أنا جراد ... قولي أنا جراد يكف عنك في الحال))[4] ، وهذا الوضع يضعنا أمام خيارين : الأول أنّ نستسلم للقهر ، والظلم ، والاضطهاد ، ونصبح جراداً حقيراً لا قيمة له ، والخيار الآخر أنّ نرفض الظلم ، والاستبداد ، والقهر السياسي ونكون أحراراً أو شهداء[5] ، كما أنّ رفض الرضوخ للسلطة دلالة على أن هذه السلطة لا تمثلهم فوجدوا في رفضها خلاصاً منها .

أمّا قصة ((الموت سداسياً))[6] ، فنجد إنّ الاستلاب السياسي دفع الشخصية (مجهول الاسم) إلى مجابهة القوى السالبة لحريته ، ووطنه ، والكفاح والثورة ضدها، وإيمانه بأنّ الحال لن يبقى كما هو ، وإنما سيسعى لتحرير نفسه وأرضه ((أنا... أنا

---

(1) نفسه : 262 .

(2) الجبل والسهل : 150 .

(3) نفسه : 152 .

(4) الجبل والسهل : 160 .

(5) ينظر : نظرات نقدية في عالم محيي الدين زنكَنة الإبداعي ، مجموعة باحثين – بحث – الفنتازيا رداء للتنوير في التجربة القصصية عند محيي الدين زنكَنة ، د. سناء الشعلان : 125 .

(6) الجبل والسهل : 83 .

الذي تسلبون حريته ... حقّه في الحياة ... ليتحدث إليكم ... من خلالي... ومن خلال تبدل حالي وتغيرها من حال ... إلى حال))[1] ، فمطالبته بحريته وأرضه تدفعانه إلى الثورة والتمرد على السلطة ، مما يؤدي إلى ((حدوث صدامات بين الفرد مرمياً به في الوجود ، والعرف ، أو القانون ، أو النظام الذي يفترض إنّه يمثل إرادة مجموع أو جهة تكتسب حقّ السلطة ومن ثم خروج الفرد وتمرده على إرادة تلك السلطة ليستتبع ذلك أنّ يطلبه ممثلوها ويطاردوه ويسألوه ، ثمَّ متى ما يتمكنون منه فإنهم يدينوه ويحكمون عليه))[2] ، فمن الطبيعي أن يحدث صراع بين الفرد وهذه السلطة .

إنّ السلطة أوصلت البطل إلى مرحلة اليأس وفقدان الأمل في مدينته فأخذ يطالبهم بسجنه مقابل حرية الآخرين وحرية مدينته من تبعيتها ((أني أُعيد إليكم حريتي ... وتابوتها الذي تتنفس فيه وتعيش فيه ... لقاء حرية الآخرين ... حرية مدينتي ... حرية أبنائها ... وأدفع حياتي ثمناً لها ... شرط أنّ لا تكون محشوة في... تابوت ... محمول على أكتاف الموتى))[3] ، إنّ الحرية أثمن ما يمتلك الإنسان، بيد أنّه عندما يُفقد الوطن والأهل تصبح الحرية لا قيمة لها .

وممّا تقدم يمكن القول أنّ سُبل الاستلاب السياسي ، وسلبياته ، ونتائجه كانت شديدة وقاسية على الأفراد ، فآلياته تمثلت بالإعتقال ، والتعذيب ، والظلم ، وعدم المساواة ، واستلاب الحقوق الشخصية .

أمّا سلبياته فكانت مؤلمةً فبعض الأفراد لجأوا إلى الخمر ، والبعض الآخر إلى كتابة قصص الجنس التافهة ، أو الصمت على ما يحدث ، والقسم الأكبر لجأ إلى الهرب خوفاً من بطش السلطة .

---

(1) نفسه : 87 .

(2) الوجودية ، جون ماكوري ، ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام ، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، د.ط ، 1982م : 380 .

(3) الجبل والسهل : 118 .

ومقاومتـه تمثلـت بنمطـين : الأول إيجـابي والآخـر سـلبي ، الأول تمثـل فـي محاولة بعض الأفراد الثورة والتمرد على السلطة مع أنّ القسم الأكبر منهم دفع حياته ثمناً .

أما النمط الآخر فإن ما أفرزه الاستلاب السياسي من استلاب اجتماعي في محاولة كلّ فرد إستلاب حقوق الآخر فضلاً عن محاولة الانعزال عنه ، فلو تخيلنا أنّ كلّ فرد في مجتمعنا انعزل عن الآخرين ، فهل يبقى مجتمع ؟ .

## المبحث الثاني
## أوجه الاستلاب السلطوي

السلطة السياسية من الموضوعات غير المصرّح بها أحياناً في السرد العربي ؛ لهذا يُغيبها الكاتب بصورة مباشرة فيلجأ تارة إلى الرمز وأخرى بجعلها مجهولة وكأنها شيء غير موجود ، كلّ هذا يرجع إلى خوفه من السلطة ، فمحيي الدين زنكَنة ((يعاني من الظلم حاساً بابعاده وتأثيرهِ الارتدادي المريع على التاريخ الإنساني ، إذ يحاول أنّ يواجه امتداده السياسي في الإطارين الرمزي مرة والصريح مرة أُخرى))[1] ، ومن أبرز تأويلات السلطة في قصص زنكَنة هي :

أولاً : السلطة المجهولة .

ثانياً : السلطة المعلنة .

ثالثاً : السلطة الدينية .

رابعاً : السلطة رمزاً .

---

(1) محيـي الـدين زنكَنـة روائيـاً ، رؤوف عثمـان معـرف ، أطروحـة دكتـوراه ، كليـة الآداب – الجامعـة المستنصرية ، إشراف : د. عناد إسماعيل الكبيسي ، 1428هـ – 2007م : 25 .

أولاً : السلطة المجهولة :

أولى سمات السلطة التي يمكن رصدها في أعمال زنكَنة هي أنها مجهولة ومفتقدة الهوية ، وإذا ما عرفنا بعض رموزها أو ممثليها فإنها تكون غريبة وغير واضحة غالباً ، وهذا نتيجة تأثره بفرانز كافكا(*)[1] .

ففي قصة ((سبب للموت ... سبب للحياة))[2] ، نتحسس السلطة ورموزها وأدواتها من دون أن نعرف عنها شيئاً سوى أنها نماذج سلطوية صغيرة تمثل سلطة كبرى[3] ، فكاتب الجنس يجهل جهة الاعتقال كما يجهل السبب ، ويحاول عبثاً تجنب ضرباتهم التي توجه إليه ((أخذت ضرباته تتوالى على مؤخرة رأسي ، وأنا أحاول التظاهر بالتجلد واللامبالاة))[4] ، ولا نلحظ شيئاً من رموز السلطة سوى وحشيتهم وأسلوبهم اللاانساني في التعامل مع كاتب الجنس ، وهذا الأسلوب في التعامل معه دفعه إلى الشعور بالاستلاب السياسي ، فالسلطة ظالمة ومضطهدة لحقوقه المدنية .

ونجد في القصة بعض صفاتهم التي تُنذر بالموت ((قال له الآخر الذي وصل لتوه في بدلة صفراء بلون السل))[5] ، فاللون الأصفر يحيل على المرض والحقد بمعنى انّها شخصيات مريضة وحاقدة تهوى القتل والتعذيب ، ونراه مرة أُخرى يصفهم

---

(*) فرانز كافكا أديب ألماني ولد في براغ (1883–1924) عانى في طفولته من قسوة أبيه واستبداده، إذ قرأت أعماله وهي : القضية 1925 .. القصر 1926 .. أمريكا 1927 ، شعرت بصدمة رهيبة، وألم من الغموض والرعب والوحشة ، فأنت تشاهد البطل محاصراً بالحياة واللا حياة ، ضائعاً في متاهات غريبة ، لا يجد منفذاً للخروج أو طريقاً للفرار ، وقد مزج كافكا هذه الصورة بالسخرية والتهكم والمفاهيم الفلسفية العميقة . أعلام في الأدب العالمي ، علي عبد الفتاح ، مركز الحضارة العربية ، ط1 ، 1999 : 248 .

(1) ينظر : كافكا في الرواية العربية والسلطة والبطل المطارد ، د. نجم عبد الله كاظم ، مجلة جامعة دمشق ، ع1–2 ، مجلد 26 ، 2010م : 234 .

(2) كتابات تطمح ... : 25 .

(3) ينظر : كافكا في الرواية العربية والسلطة والبطل المطارد : 231 .

(4) كتابات تطمح ... : 27 .

(5) نفسه .

بالوحوش ((الوحوش يقتفون أثري))[1] ، فوصفهم بالوحوش يعني أنهم خلو من كلِّ مشاعر الإنسانية فامتهنوا القتل ، فضلاً عن وصفهم بجرذين ((لا ينبغي أنّ أسقط أمام جرذين))[2] ، فالجرذان حيوانات قذرة تقتات على الفضلات وكذلك ممثلي هذه السلطة أشخاص قذرين يعيشون على أرواح الآخرين ، فأوصافهم تحيل على امتهان القتل وذلك من وصفهم ((ماذا في عيني ... بحيرتا دم ... وجثث))[3] ، فكاتب الجنس وصف السلطة بهذه الصفات لإحساسه بعدم العدل في التعامل معه وكلّ هذا الإحساس دفعه إلى الشعور بالاستلاب السياسي .

إنّ هذه القصة تصور أزمة الإنسان العراقي المستلب الحرية في عصر المطاردة والقمع والاضطهاد .

والسلطة مجهولة كذلك في قصة ((الغولة خرابكو))[4] ، ولا نفهم منها سوى إنّها سلطة ظالمة تميّز بين الأفراد في حكمها فتحاسب الضعفاء وتترك أعوانها المقربين منها الذين رُمز إليهم بالغولة خرابكو ((إنهم لا يقطعون لها أصبعاً واحداً))[5]، فبطل القصة الذي رُمز إليه بالأول قُطعت يداه ؛ لأنّه سرق سرقة واحدة، أمّا الغولة فتسرق مئات المرات من دون أنّ يقطعوا لها أصبعاً واحداً ، ((هل يقطعون ذراعي كل من يسرق ؟ [...] بذلك ... تقتضي شرائعهم))[6] ، فشكل السلطة عادلة ، ولكنّها في الحقيقة ليست كذلك ، فالسلطة لم تحكم بالعدل ، وتميّز بين أفرادها وهذا دفع الأول إلى الشعور بالاستلاب السياسي .

---

(1) نفسه : 30 .
(2) نفسه : 31 .
(3) نفسه : 32 .
(4) الجبل والسهل : 244 .
(5) نفسه : 247 .
(6) نفسه : 245 .

ثانياً : السلطة المعلنة :

تظهر السلطة المعلنة بصورة واضحة وجلية ، فنلحظ ملامحها وأفعالها من دون الحاجة إلى التأويل ، فضلاً عن إنّه أُضفي عليها شيء من اللاواقعية والخيال ليبتعد قليلاً عن المساس بالسلطة بصورة مباشرة .

ففي قصة ((حيث الناس يعيشون كالهواء))[1] ، نلتمس السلطة وملامحها بصورة واضحة متمثلة بالملك الذي هو شخصية خرافية قبيحة الشكل ((صورة الملك بأنفاسه الكريهة ، وأسنانه الصفراء ، ووجهه الموبوء بالدمامل ورأسه الكبير ذي القرون التي تناطح السحاب))[2] ، فشخصية الملك تُحيل على أنّ السلطة الحاكمة ظالمة ومستبدة ، فالقاص عندما يريد أنّ يصف شيئاً جميلاً يضع فيه أجمل الصفات، أمّا إذا أراد أنّ يصف شيئاً قبيحاً فيضع فيه أسوأُ الصفات ، وهذا هو حال الملك في هذه القصة التي نفهم من خلالها أنّ الملك بظلمه واضطهاده وقسوته يدفع الناس إلى الإحساس بالاستلاب السياسي وبالتالي الإنكفاء عن السلطة وهذا هو الوصف الأول للملك .

---

(1) كتابات تطمح .. : 44 .

(2) نفسه : 46 .

أمّا الوصف الآخر والذي يحوي على دلالة رمزية ، فحينما يصف الملك بوصف غريب نصف أسنانه أسد والأخرى لحصان ((قاطعه الملك ضاحكاً ، ثم أخذ يقهقه ، عن أسنان بعضها أسد وبعضها حصان))[1] ، فأسنان الأسد تحيل على أنّ هذه المدينة تحكمها السلطة على وفق مفهوم الغابة ، القوي يأكل الضعيف ، وكذلك تحيل إلى بطش الحاكم ووحشيته فهو يأكل لحم الشعب وقوته.

أما أسنان الحصان فتحيل على الشعوب العربية ؛ لأنّ الحصان حيوان عربي، بمعنى أن السلطات في العالم العربي تحكم على وفق مفهوم الغابة القوي يأكل الضعيف ، والحقيقة أن العالم أغلبه يحكم على وفق هذه الآلية ؛ لذا فليس غريباً أن يشعر الافراد الذين يعيشون في ظلّ هذه السلطة بالاستلاب السياسي .

والملك يمارس عملية الإرهاب ، والاستبداد ، والظلم ، والاضطهاد ، والقهر السياسي ، وعمليات غسل الدماغ[2] ، بصورة مقززة فيَسجن الناس ويجبرهم التخلي عن مبادئهم وأخلاقهم ودينهم ((إنّ الملك قد هاج ، بسبب تمتعي بالحياة كما ينبغي ، أبي ، وحبسه في بطنه تسعة قرون كاملة ، وأخذ يطعمه أطناناً من لحوم الفطائس ، وأبي يعتبرها من أشدِّ المحرمات حراماً ، ويسقيه البراميل من الخمر ، وأبي لم يذق قطرة منها طول عمره ويلقنه الأكاذيب تلو الأكاذيب على إنّها آيات من القرآن الكريم وأبي لم تفارق عيناه القرآن منذ نعومه أظفاره))[3] ، والملك لم يكتفِ بهذا وإنّما حرمهم من أبسط حقوقهم الشخصية التي منحها الله لهم ((لقد فكرنا والملك منع التفكير ... وحلمنا والملك منع الحلم ... وتحدثنا عن المدينة التي يعيش أهلها الهواء... والملك

---

(1) نفسه : 47 .

(2) ينظر : تجليات السرد وجمالياته في قصص محيي الدين زنكَنة : 74 .

(3) كتابات تطمح ... : 46 .

منع الحديث عنها))[1] ، حينما يُحرم الإنسان من أبسط حقوقه الحلم والتفكير فماذا يبقى ؟ .

إنّ الملك يحكم على وفق آلية غير عادلة فهو ينتهك الحرمات ، ويمنع الأفراد حقوقهم الشخصية ؛ لذا فمن الطبيعي أنّ يشعر الأفراد بالاستلاب السياسي .

والسلطة معلنة أيضاً في قصة ((فكاهة))[2] ، متمثلة في شخصية الوالي ، الشخص ((المستبد الذي يتظاهر بالعدل ، الأُمي الجاهلي ، مطارد النساء غير المهتم بغير عالمه الخاصّ مهملاً الجوانب الصحية ، والاجتماعية ، والفكرية في مجتمعه سيء الأحوال ، على الرغم من إدعاءاته الكاذبة واهتمامه بوجود المطبلين من حوله))[3] ، إنّ الوالي لا يهتم إلا بأموره الشخصية ((لأنّ الوالي دميم ومطلاق و... و...))[4] ، فهو شخص جاهل بأمور ولايته أنشغلَ بالنساء وترك أمورها .

إنّ شخصية الملك تحيل على إنّه شخص غير كفوء ، مهمل لأمور ولايته سيئة الأحوال ، مشغول بأمورِهِ الشخصية ، مما جعل الأفراد يشعرون بالاستلاب السياسي .

إنّ سخرية ابنة القاضي (جميلة) من الوالي حينما اكتشفت إنّه أقرع ، أثارت غضبه وعمقت شعوره بالنقص والحرمان ((لقد اكتشفت جميلة [...] حينما نزع عمامته أنّ الوالي أقرع))[5] ، ولهذا أراد أن يجعلَ الكلَّ يعيش هذا الحرمان فأصدر أمراً يقضي بقصِّ شعر الرعية ، فبدأ بحاشيته ، فتسارعوا بحلق شعر رؤوسهم ليس إيماناً بهذا

---

(1) نفسه : 52 .

(2) الأعمال القصصية 253 .

(3) فضاءات التخييل (مقاربات التشكيل والرؤى والدلالة في إبداع سناء الشعلان القصصي) ، مجموعة باحثين – بحث – التنوع والثراء في قصص الجدار الزجاجي ، سمير الشريف ، قدم له وحرره د. غنام محمد خضر ، الوراق للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، ط1 ، 2012م : 92 .

(4) الأعمال القصصية : 255 .

(5) نفسه : 254 .

القرار ، وإنما تملقاً للوالي ، وهذا التملق أوصل الوالي إلى أن يستبد بالولاية، ولم يكتفوا بحلق شعر رؤوسهم ، وإنما أخذوا يزايدون على بعضهم البعض فهذا يحلق لحيته ، الآخر يزايد بحاجبيه وأهدابه وهكذا حتى غدت حاشية الملك من دون شعر ((لم تبقَ في الوجوه ولا الجسوم شعرة واحدة ، اللهم ، إلا ...))[1] ، طبقت الحاشية هذا القرار على جنودها ، فأصبح الجنود وحاشية الملك من دون شعر ، في البدء آثار الأمر استغراب أهل الولاية ، ولكن مع مرور الوقت اعتادوا الأمر ((قابلهم الناس في البداية بدهشة ، ثم مع تكرار المشهد ، تراجعت الدهشة وحلّت محلها لامبالاة باردة))[2] ، فالوالي حرم حاشيته من الشعر والحاشية حرمت جنودها ولم ينتهِ الأمر ، وإنّما حرم الجنود الناس شعرهم بأمر من رئيس الجندرمة بحلق جميع الرؤوس في الولاية ، وإذا ما خرج أحد عن هذا الأمر أغرقوه ترهيباً لأهل الولاية ، ولم يأخذ هذا الأمر على محمل الجدِّ إلاّ جندي معروف بغبائه ، مما أثار الرعب بين أهل الولاية وأجبرهم على الانصياع لهذا الأمر ((إذا استعصت عليكم رأس ، أغرقوها في الماء المغلي ، ولم يأخذ أحد منهم نصيحة سيده مأخذ الجد ، عدا واحد معروف بغبائه وحدة الطبع ، أمسك طفلاً في الرابعة ، رشقه بحجارة أخطأته ، دفن رأسه في النهر ، وأبقى عليه ، ولم يكفْ حتى كف الطفل عن الحركة))[3] ، ولم يقتصر الأمر على هذا وإنما عمدت السلطة إلى حرق سعيد ؛ لأنّه رفض قصّ شعره ((تقصّ شعرك الآن ، حالك حال الجميع أم نحرقه لك ونحرقك معه))[4] ، فهذه السلطة تحكم على وفق آلية غير عادلة القوي يُخضع الضعيف ، فالشعر هو رمز لأبسط الحقوق الشخصية ، فما بال الحقوق

---

(1) نفسه : 257 .

(2) الأعمال القصصية : 261 .

(3) نفسه : 262 .

(4) نفسه : 263 .

السياسية ؟ لذا من الطبيعي أنّ يبرز الاستلاب السياسي حالةً في هكذا ولاية تحكم على وفق قوانين غير عادلة .

إنّ حاشية الملك كانوا سبباً رئيساً في صنع الاستلاب السياسي فبرضوخهم تمكن من سلبهم أبسط حقوقهم ، فضلاً عن إنّهم هم من صنعوا الوالي ومجدوه فليس غريباً أن يسلبهم حقوقهم .

ثالثاً : السلطة الدينية :

أقسى أنواع السلطة مرارة هي السلطة الدينية التي تتخذ من الدين غطاءً لها فتسلب حقوق المواطنين من دون أن يتحركوا ضدها ؛ لأنّها تحكم بإسم الدين والدين قيمة لا يمكن تجاوزها ، فنراها تخضعهم وتضطهدهم وهم مستسلمون لها وكأنها إله يعبدونه ، وليست سلطة ترهبهم .

ففي قصة ((اللات والعزى))[1] ، نلتمس السلطة الدينية بصورة واضحة وجلية من العنوان إلى مضمون القصة التي تمتلئ بالقسم باللات والعزى ((واللات والعزى لا أعرف شيئاً ... وحق اللات والعزى لا أعلم ... حلفتك باللات والعزى أنّ تتركني))[2] ، والسلطة عبارة عن صنمين قبيحين، جاهليين ((وحقدي أيضاً على هذين المشوهين))[3] ، فهما سيطرا على أهل الجزيرة وأخضعوهم وهذا هو حال السلطة في حالة الاستلاب السياسي ، فهما من صنع أهل الجزيرة ومن إنتاجهم ، ومع هذا

---

(1) الأعمال القصصية : 147 .

(2) نفسه : 154 .

(3) نفسه : 162 .

أصبحت السلطة غريبة ومُعادية لهم ووقفت ضدهم ، فشعروا تجاهها بالخوف الممزوج بالعداء ، فالسلطة من صنع الناس ولا يمكن أن تأتي من الخارج سواء من شخص أو هيئة أُخرى[1] ، بمعنى أنّهم هم من صنعوا هذه السلطة الظالمة، المستبدة، ونتيجة طبيعية لمثل هذه السلطة أنّ يتولد الاستلاب السياسي ، أمّا أعوان السلطة ومن ينفذ أوامرها فهم عبارة عن كائنات بشرية بلا مشاعر وبلا إحساس فهم أشبه بالحيوانات المفترسة التي تنتظر الفرصة لاصطياد فريستها ((وما أنّ يبلغ الصرير مسمع الحيوان الخرافي النهم داخل كلّ واحد منهم ، حتى يتململ ويتهيأ ... ثم ... يتوثب بسرعة خارقة منقضاً على الفريسة الجديدة))[2] ، فالسلطة لا تكتفي باعتقال شخصٍ واحدٍ ، وإنّما تعتقل شخصاً بعد آخر فهي اعتادت اعتقال الناس وتعذيبهم حتى غدت مهنة لها ((وما أكثر ما كانت الفريسة شخصاً واحداً ، في البداية ، وبعد مسيرة خطوات يتضاعف العدد ... ويتكاثر ... ما امتدت المسافة))[3]، فالسلطة في هذه القصة تعتقل وتعذب من دون وجه عدل ؛ لذا وجدنا أهل هذه الجزيرة يشعرون بالاستلاب السياسي ؛ لوجود سلطة ظالمة فضلاً عن أنها لا تمثلهم .

والسلطة أحالت أهل الجزيرة إلى أُناسٍ مرعوبين يمتلكهم الخوفَ ، أنزوى كل شخص منهم على نفسه ، وأنحصر تفكيره في مصالحه ، وهذه سياسة أتبعتها السلطة لتسيطر على أهل الجزيرة وتعتقل من تشاء من دون أنّ يعترض أحد من ساكنيها ، وإذا ما فكر أحد بالاعتراض سيكون مصيره الإعتقال ، فإحساسهم بالخوف نتيجة طبيعية لإحساسهم بالاستلاب السياسي .

---

(1) ينظر : دراسة في علم الاجتماع ، راغب أحمد الخطيب ، دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع ، الأردن – عمان ، ط1 ، 2011م : 213 .

(2) الأعمال القصصية : 148 .

(3) نفسه .

نجد الناس في هذه الجزيرة كما يسميها القاص أحياناً ، يشغلون أنفسهم بأمور تافهة عند اعتقال شخص ما ((في الأيام الأُول ... كان الناس أكثر تداخلاً مع بعضهم البعض [...] قبل أنّ يتمكن الخوف منهم ومنها ، ويقطع بسكاكينه اللامرئية ، الوشائج ... فيتفككوا ويصبحوا أفراداً معزولين [...] مما جعل الفريسة تساق كأية دابة إلى النحر ، وحدها ، بلا شفيع ولا نصير ولا نادب ولا صاحب))[1]، إنّ الاستلاب السياسي يُحيل على الاستلاب الاجتماعي ، والسلطة عمّدت إلى ذلك من أجل أن تسيطر عليهم ، فتمكنت منهم وسلبتهم التواصل الاجتماعي .

ولشدّة قسوة السلطة وجبروتها أخضعتهم حتى سلبتهم الثورة الداخلية ، وأحلّت محلها آهات وحسرات لا فائدة منها ، وحتى هذه الحسرات والآهات يخافون أنّ تجهضها السلطة فيعمدون إلى إخفائها خوفاً من بطشِ السلطةِ ((حلت الحسرات والتأوهات التي لا تنفع بدل الثورات الداخلية المغتالة يخشى الكثيرون أنّ يشعروا بها فتنعكس على وجوههم أو سلوكهم دون أنّ يشعروا ... أو يريدوا ، فيبادرون على الفور إلى قتلها في مهودها))[2] ، فالسلطة سلبتهم الإحساس والشعور الذي منحه الله لهم ، ولم تكتفِ بهذا حتى أحالت الجزيرة إلى مكانٍ مقرفٍ اليوم فيه يشبه الأمسِ والعكس صحيح ((استحالت الجزيرة من أقصاها إلى أقصاها ، مستنفعاً راكداً آسناً))[3]، والسلطة لا تكتفي بهذا ، وإنّما كلّ من يعترض على اعتقال شخص ما يكون مصيره الموت أو الاعتقال ((حلفتك باللات والعزى أنّ تسكت .. أشفق على زوجتي ... فلست قادراً على إعالة أُختي ... إذ تترمل ، ولا تربية أولادها إذ يُيَتمون))[4] ، إذ هذه السلطة زرعت الرعب في نفوس أبنائها مما جعلهم يشعرون بالاستلاب السياسي .

---

(1) نفسه .

(2) الأعمال القصصية : 149 .

(3) نفسه .

(4) نفسه : 152 .

إنّ السلطةَ سيطرت على تفكير الحرِّ بن شمس العلام حتى أصبح مثل عبد لها ((كيف أعتق روحي من أغلال عبوديتهما ... أين الخلاص ؟ .. أين ؟ أين؟))[1]، فالكلُّ خضع خوفاً من اللات والعزى اللذين هما مجرد صنمين لا حول ولا قوة لهما، والحقيقة إنّ من استلبهم حريتهم هو من أستغل عقولهم ، وجهلهم ، وقلة حيلتهم حتى أحالهم ، وأحال جزيرتهم إلى مكان معدومة فيه الحياة ، فالاستلاب السياسي يكمن في السيطرة ، والظلم ، والاضطهاد الذي يخضع له أهل الجزيرة .

وفي قصة ((محاولة اقتناص حلم))[2] ، السلطة الدينية تسيطر بشكل مرعب وبشع على أهل المدينة ، فتفقدهم كلّ صفات البشر وتحولهم إلى كائنات متشابهة الصفات والأفعالِ .

إنّ السلطة تتمثل في الأمير والكاهن ، فمن خلال شخصية الأمير يتضح لنا البعد اللاإنساني الكامن في شخصهِ ، فهو كائن يتحول من الموت إلى الحياة ، فهو شخصية تجمع بين البعدين الإلهي والحيواني[3] ، ((ليس الأمير ، هذا الميت الذي بدأ فعلا يخرج من الموت إلى الحياة))[4] ، لقد تمَّ إعادة الحياة إلى الأمير ، بعد أن قدم أهل المدينة قرباناً له ، والقربان كان فتىً في الرابعة عشر من عمره ، ولقد تمَّ اختيار هذا الفتى ؛ لأن والديه خرجا عن قانون المدينة وأنجباه ، والقانون يتمثل في منع الإنجاب ، فاختياره قرباناً عقاب لوالديه ؛ لأنّهما خرجا عن طاعة الكاهن ((الكاهن نفسه منع الإنجاب منذ أكثر من ثلاثين عاماً))[5] ، وفي منع السلطة الإنجاب انتهاك واستلاب لحقوق الأفراد .

---

(1) نفسه : 161 .

(2) الجبل والسهل : 39 .

(3) ينظر : نظرات نقدية في عالم محيي الدين زنكَنة الإبداعي ، مجموعة باحثين – بحث – فنتازيا المعقول واللا معقول في سرديات محيي الدين زنكَنة (محاولة اقتناص حلم أنموذجا)، د. فيصل غازي النعيمي : 31 .

(4) الجبل والسهل : 62 .

(5) نفسه : 58 .

أمّا شخصيةُ الكاهنِ فملابسه توحي بأنّه رجل دين ، عباءة سوداء وقلنسوة خضراء ، والعباءة في هذه القصة تمثل غطاء للروح العارية من كلِّ الأخلاقيات ، وقد تحولت إلى فعل تحسسي يمارس حضوره فوق تعرجات الجسد[1] ، لتعطيه هيبة ((فإذا بهما تستقران بعد رحلة بحث قصيرة على رجل طويل ، طولا غير معقول زاد من لا معقولية طوله ، نحافته والقلنسوة الخضراء التي تغيب فيها رأسه [...] رفع الرجل إلى السماءِ ، ذراعين عاريين خرجا من العباءة التي يرتديها [...] عبر الشقّ الذي خرج منه الذراعان ، أبصر بوضوح جسد الرجل ... فيصعقني مرآه ... إنّه عارٍ ، عارٍ تماماً))[2] ، وليس هو الوحيد الذي يرتدي العباءة ، وإنّما أهل المدينة كلّهم، فالاستلاب السياسي سلبهم حتى اختيار الملابس التي يودون ارتداءها فأجبروا على ارتداء العباءة ومن يخرج عن هذا الأمر يكون مصيره الموت ؛ وذلك يتضح عندما رفض الشخصية الرئيسة (مجهول الاسم والهوية) ارتداء العباءة فأُجبر على ارتدائها خوفاً على حياته ((وتلفتُ مرعوباً ، فإذا بأحد الثلاثة ، يقدم لي عباءة سوداء ... ويقول مطمئناً ، لكي ترتديها ... عباءتك))[3] ، إنّ الاستلابَ السياسيِّ أجبرَ كلَّ من في المدينة على الخضوع والاستسلام للكاهن فنراهم ساجدين ، خاضعين له وكأنه إله ((فخر الجميع خاشعين ... دفنوا وجوههم في التراب))[4] ، فالسلطة المتمثلة بالكاهن والأمير سلبت إرادة أهل المدينة وحولتهم إلى مجموعة من الأرقام بلا أسماء ولا هوية[5] ، خاضعين تماماً للاستلاب السياسي .

---

(1) ينظر : ما تخفيه القراءة (دراسات في الرواية والقصة القصيرة) ، ياسين النصير ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان – بيروت ، ط1 ، 2008م : 429 .

(2) الجبل والسهل : 42 .

(3) نفسه : 54 .

(4) نفسه : 44 .

(5) ينظر : نظرات نقدية في عالم محيي الدين زنكَنة الإبداعي ، مجموعة باحثين – بحث – فنتازيا الحكي المعقول واللا معقول في سرديات محيي الدين زنكَنة، د. فيصل النعيمي: 39.

السلطة في هذه القصة تستلب السلطة ، فالكاهن بعد أنّ يُعيد الحياة للأمير ؛ وذلك حينما قدم القربان له ، نجد أن الأمير يستعيد سلطته ومكانته ولا يكتفي بذلك بل يعمد إلى قتل الكاهن الذي استلم زمام الأمور في غيابه ((أطلق الكاهن ، أثر تحذيره ... وقبلما ينهي تحذيره .. ساقيه للريح ... ولكن ذراعي أميرهم الطويلين... أطبقا عليه ... ككماشة من حديد وأعاده إليه .. ثم طوقه بقوة وراح يعصره عصراً ... لم يكن في جسد الكاهن الناحل قدر كبير من اللحم بقيت عظامه التي راحت تطقطق كمجموعة أعواد يابسة [...] ثم قذف بقايا الجسد المفتت باستياء شديد [...] يابس ... ليس فيه إلا القليل من اللحم))[1] ، فالاستلاب السياسي دفع الكاهن إلى قتل الأمير واستعادة سطوته على المدينة ليحكمها على وفق مبادئ غير عادلة .

## رابعاً : السلطة رمزاً :

ليس من اليسير التحدث عمّا يعانيه الأفراد من تسلّط السلطة وسطوتها ؛ لهذا نجد أغلبَ الكُتّابِ يلجأون إلى وسائل عدة مثل الرمز ، ومنهم زنكَنة فهو لا يحدثنا بصورةٍ مباشرةٍ عن السلطةِ وسطوتها ، فنراه يلجأ إلى الرمز ، ولعلَّ ذلك يعود إلى خوفه من الأذى الذي ممكن أنّ يلحق به لو تحدث بصورة مباشرة عن السلطة، فزنكَنة هو الآخر يعاني استلاباً .

ففي قصة ((الموت سداسياً))[2] ، تعمّد السلطة إلى اعتقال الشخصية الرئيسة (مجهول الاسم والملامح) الذي لا نعرف عنه سوى إنّه في الأربعين من عمره ((وفي أسمي الذي أحمله أكثر من أربعين عاماً))[3] ، ولعلَّه تركه بدون اسم ، لكي يلائم كل زمان ومكان ، وبعد حقبة من الزمن يُطلق سراحه بعد أنّ تهيأ لها سرقة مدينته التي

---

(1) الجبل والسهل : 71 .

(2) نفسه : 83 .

(3) نفسه : 113 .

هي رمز للوطن ((ها أنا أحمل حريتي على أكتافي ثانية ... وأعود بها وبنفسي المشتتة... المتشظية ، إلى مدينتي ... التي سلخوني منها ... وسلخوها مني))[1] ، فهذه السلطة التي من خلال العنوان والمضمون واسم أحد الشخصيات (راحوم) نفهم أنّه يقصد الكيان الصهيوني ، فعنوان القصة الموت سداسياً يشير إلى النجمة الإسرائيلية سداسية الشكل ، ومضمون القصة اغتصاب الأرض يشير إلى فلسطين ، فضلاً عن السياج الذي أقامه الاحتلال حينما قسم فلسطين إلى كيانين ((ما هذا ؟ ما هذا السور البشع .. ؟ متى بنوه ؟ وكيف أقاموه بهذه السرعة ... ؟))[2] ، فالاحتلال حرمه وطنه وقسّمه واستلب جزءاً كبيراً منه ، كما إن اسم الشخصية راحوم يشير إلى اسم يهودي ((ثمَّ يعلو صوته ... را .. حوم ... راحوم))[3] ، فالمحتل سلب الفرد حريته ووطنه في آن واحد ، سلب حريته ثمَّ أطلق سراحه ليجد أنّ وطنه سُلب ، وأهل وطنه قد تبدلوا وأصبحوا أُناساً غرباء عنه لا يعرفهم ((الآن فقط أدركت مدى فظاظة وقوة العقوبة التي فرضتها عليَّ ... دائرة حجر الحريات الشخصية والعامة ، بإعادتها إليَّ حريتي كي أعيش ... وأجوب وحدي ... ووحدي فقط))[4] ، إنّ الاحتلال يقتل الأفراد من دون رحمة حتى استحالت الأرض إلى نهر من الدمّ ((أنتم الذين تغوصون عشرات المرات ، في اليوم الواحد أنهر الدم ... وتعبون ... ما تعبون من مياهها))[5] ؛ ونراه يرمز للاحتلال بالوحش فهو يدخل مدينته وينشر الرعب بين أبنائها ((كيف تهيأ

---

(1) نفسه : 83 .
(2) الجبل والسهل : 101 .
(3) نفسه : 89 .
(4) نفسه : 117 .
(5) نفسه : 87 .

لهذا الوحش أن يدخل مدينتي ... في أية غفلة من الناس دخلها وأخذ ينشر الرعب ... والعزلة بين سكانها ... ؟ ))[1] ، إنّ دخول الوحش سلبهم الإحساس بالأمان .

إنّ الاحتلالَ سلبهُ حريته عندما أحالهُ إلى إنسانٍ مطارد يلاحقه الظلم ، والاضطهاد ، وعصابات القتل ((أية فائدة ... من حرية تلبس فرداً في دنيا لا يجد فيه للحرية ظلاً يأوي إليه من نيران الاضطهاد والقتل اليومي ... يلاحقه الإرهاب بألسنته اللهيبية أينما توجه))[2] ، فأدرك أنّه لا توجد حرية في بلد مغتصب .

إنّ السلطة تمثل أعلى درجات الاستلاب السياسي ؛ لأنّها سلبت حرية الفرد ووطنه ، واضطهدت ، وقتلت ، فضلاً عن إنّها لا تمثل أهل المدينة ؛ لأنها غريبة عنهم ، فمن الطبيعي أن يشعر الافراد في ظل هذه السلطة بالاستلاب السياسي .

وفي قصة ((الجراد))[3] ، وهو رمز للسلطة الذي هو أكثر الحشرات بشاعةً وضرراً ، فهو ما أنّ يُهاجم منطقة حتى يُحيل كلّ شيء فيها إلى العدم ، وهذا هو حال السلطة التي أحالت أهل القرية إلى لا شيء فقتلت من قتلت ، ومن لم تقتله أحالته إلى جراد ممسوخ تابعاً لها ، فالاستلاب السياسي يكمن في سيطرة السلطة على أهل القرية ، وقتلهم ، وجعلهم تابعين ، راضخين لها .

الجراد يهاجم أهل القرية بصورةٍ مرعبةٍ وينقض عليهم فيقتل من يقتل منهم ، وهم غير قادرين على المقاومة ((سكن الجميع إيماناً بأنهم سيهزمون الجراد ، وينتصرون عليه ... لولا أن أسراباً هائلة ... انطلقت من مكان ما ... وأخذت تهجم على حين غرة بوحشية ، فاقت كل وحشية ، مركزة هجومها على الوجه والرأس، ناشبة أرجلها المنشارية في العينين))[4] ، إنّ الاستلابَ السياسيِّ يُبيّن همجية السلطة،

---

(1) نفسه : 117 .

(2) الجبل والسهل : 118 .

(3) نفسه : 150 .

(4) نفسه : 152 .

وقمعها للناس ، وسلب حقهم في الحياة ، مما يدل على أنّها سلطة غير عادلة، وتحكم على وفق آليات غير صحيحة .

إنّ السلطةَ تضعُ أهل القرية بين خيارين ، أمّا أنّ يموتوا ، أو يتنازلوا عن آدميتهم ويستحيلوا جراداً ، والذين يتنازلون عن آدميتهم يصبحون جراداً وأعواناً للسلطة ، فهي تجند أهل القرية لها أمثال السيد المدير ((كان ئاسوس يرنو والألم يمزقه ، إلى السيد المدير ... وقد استحال جراداً ضخماً))[1] ، أمّا الذين رفضوا أنّ يصبحوا جراداً ويخضعوا للسلطة وما أكثرهم في القرية فاستحالوا إلى نهر من الجثث ((أما يزال النهر يجرف الجثث))[2] ، والاستلاب السياسي يتضح من خلال اضطهاد السلطة للأفراد ، فهي لا تعرف حلاً وسطاً أمّا أنّ تكون معها أو أنّ تكون ضدها فتخسر حياتك .

أمّا في قصة ((الأمم المتحدة تكافح الجائعين))[3] ، فرَمَزَ للسلطةِ بالمعدة ودعا إلى ضرورة التخلص منها ؛ لأنّها السبب في هلاك الأول ؛ لأنّه اضطر إلى ترك بلده لسوء الأوضاع والسفر إلى بلدٍ آخر ، وهناك تمَّ قَطْعُ يديه ؛ لأنّه سرقَ .

إنّ هذه السلطة انشغلت عن مواطنيها وتلبية أبسط مستلزمات العيش ، ممّا اضطرهم إلى الهجرة ، فالشخص الثاني (رفيق الأول) يدعوه إلى الثورة على السلطة والتخلص منها ((أفعل كما تفعل سائر الشعوب إذ تضيق ذرعاً بملوكها ، فتسوقهم إلى ساحات الاعدام ... أو تذبحهم كالنعاج وهم في حظائرهم))[4] ، فهو يدعوه للثورة على الاستلاب السياسي الذي يتمثل في ظلم السلطة ، وفقدانها للعدل .

إنّ هذه السلطة خضعت لسلطة عليا هي لجنة الأمم المتحدة ، فتنازلت عن حقوق مواطنيها مقابل البقاء في الحكم ، وتُعطي من خيرات بلادها للأمم المتحدة ،

---

(1) الجبل والسهل : 156 .

(2) نفسه : 153 .

(3) نفسه : 257 .

(4) نفسه : 260 .

فهي تتنازل عن حقٍّ ليس ملكها ، وإنّما هي مؤتمنة عليه ((تعني ... تعني ... أنّ الدول تجوع ناسها ... وتشبع هذه اللجنة))[1] ، فالاستغلال ، والجشع ، دفع السلطة لتتنازل عن حقِّ مواطنيها ، وهذا يبيّن لنا مدى بشاعة الاستلاب السياسي في هذه القصة .

وفي قصة ((الرجل الذي امتهن دراسة الكائنات البشرية))[2] ، رَمَزَ للسلطة بالغربان ، والغراب نذير شؤم عند العرب ، فالغربان اعتادت أنّ تهاجم أهل المدينة وتأكلهم ، فالسلطة تمارس وسائل مرعبة وبشعة لإخضاع أهل المدينة فتنهش أجسادهم ((لا تدعّ الغربان تنهشني ، كانت يده اليمنى تتوسل إليه وترنو نحوه بألم بالغ))[3] ، والاستلاب السياسي يتمثل في سلب حقوق المواطنين وليس أجسادهم.

ممّا تقدم يمكن القول إنّ السلطةَ بكلِّ أوجهها المعلنة ، والمجهولة ، والدينية، والرمزية ، كانت سلطة غير عادلةٍ ، وتُدار على وفق آليات غير عادلة غير صحيحة ، وتمارس أبشع الوسائل لإخضاع مواطنيها ؛ ونتيجة لذلك تولد لدينا الاستلاب السياسي .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ القاص قدم شخصيات بلا اسم بلا هوية (مستلبة) وكأن لديه رغبة بأنّ لا يسمي شخصياته بأسماء كاملة ، فهو أمّا جعلها مجهولة الاسم أو استخدم لها أرقاماً مثل الأول ، والثاني ، والثالث ، باستثناء ثلاثة قصص كانت شخصياتها تحمل أسماءً ، ولعلَّ ذلك يعود إلى رغبته في أنّ يبقيهم ضمائر وحالات نافذة للقول في كلِّ زمان ومكان ، فضلاً عن أنّه أراد أنّ يشير إلى أن هذه الشخصيات تعيش حالة استلاب فأفقدها أبسط الأمور التي توضح شخصيتها .

---

(1) نفسه : 258 .

(2) كتابات تطمح ... : 36 .

(3) نفسه : 39 .

وفي خاتمة هذا الفصل يتبيّن أنّ الاستلابَ السياسيِّ حالةً سلبيةً ؛ نتيجة خضوع الأفراد لتسلطِ السلطة والانسياق خلفها ، والأفراد غالباً ما يكونون مستعدين للخضوع الدائم لتسلطها أمّا ؛ لأنّها تقدّم الأمان أو لأنّ الأفراد يجبرون على الخضوع خوفاً من بطشها أو كليهما معاً .

وأخيراً وليس آخراً أقول إنّ الاستلابَ السياسيِّ في قصص زنكَنة ما هو إلاّ صورة للواقع السياسي المعيش ؛ لذا علينا أنّ نفهم العالم ونحسن التعاطي معه ، ونتعلم كيف نغيره نحو الأحسن ؛ وذلك بإعادة النظر بكلِّ ما نمتلك من قدراتٍ وأفكارٍ وتحديد أهدافنا وتوجيهها توجيهاً صحيحاً ، وتلك هي البداية لمجابهة الاستلاب السياسي .

# Abstract

The thesis deals with plunder and its patterns in the stories of the Iraqi writer (mohye Al-ddin Zangana) died in 2010 .

The selection of this subject didn't happen futilely , but for reasons and according to appearances of plunder I found in the writer's life , his reality and events he lived with .

The importance of the thesis is latent as plunder is a problem comes out of any human matter . It is a phenomenon must be dealt with especially in literature . The thesis discovered the plunder patterns in Zangana's stories .

The thesis is consisted of an introduction , prelude and three sections , not equal in size because of the topics dealt with and there is epilogue contains results with suggestions . The researcher dealt with the prelude which carries the title (a perusal in plunder concept) , plunder as a lingual term . I specified the first section for studying (political plunder) which was divided into two researches ; the first carried the title (appearances of political plunder) . I dealt with in this research the (mechanism of political plunder) , negatives of political plunder and the results of political plunder . while the second research carried the title (authority interpretation) in which I dealt with (unknown authority , public authority , religious authority and the authority as a symbol) . The second section was specified to study (overcoming plunder) and it was divided into two researches :

The first carried the title (indication of overcoming plunder in the event) . The other research carried the title (indication of overcoming plunder in characters dialogue) and it was divided into two divisions (indication of overcoming plunder in outer dialogue and indication of overcoming plunder in the inner monologue) . The third section was specified to study 9other plunders) and it was divided into three researches (ethical plunder, social plunder and economical plunder) . The epilogue included the most important point that the researcher concluded and it is that the plunder makes human submissive , yielding , subordinated , un free and willing less without entity .

The researcher also concluded that (Zangana) was honest to express the plunder state which human lives with .

**Researcher**
**Nuha Khalil Ibrahim**